

العدد 2 - شهر مارس 2016
الموافق لـ جمادى الأولى - جمادى الآخر

مجلة إلكترونية - تصدرُ كلَّ شهرين تُعنَى بالأدبِ، والفكرِ، والثقافةِ

«يحيى بختي»
الشاعر المُجاهد يوارى التراب!
عبد المومن تلايلف

رؤوف بن الجودي
عن التعليم أتكلَّم..
المقالات

أحمد العمَّاري
واحة الدفء
القصائد

عادل حميد
أوراق بحثية في التراث الأدبي الجزائري
«ابن أبي حجلة»
من التراث

جيلاني ضيف

«لا أدب بدون قِيَم؛
ولا قِيَم بدون أدب»...

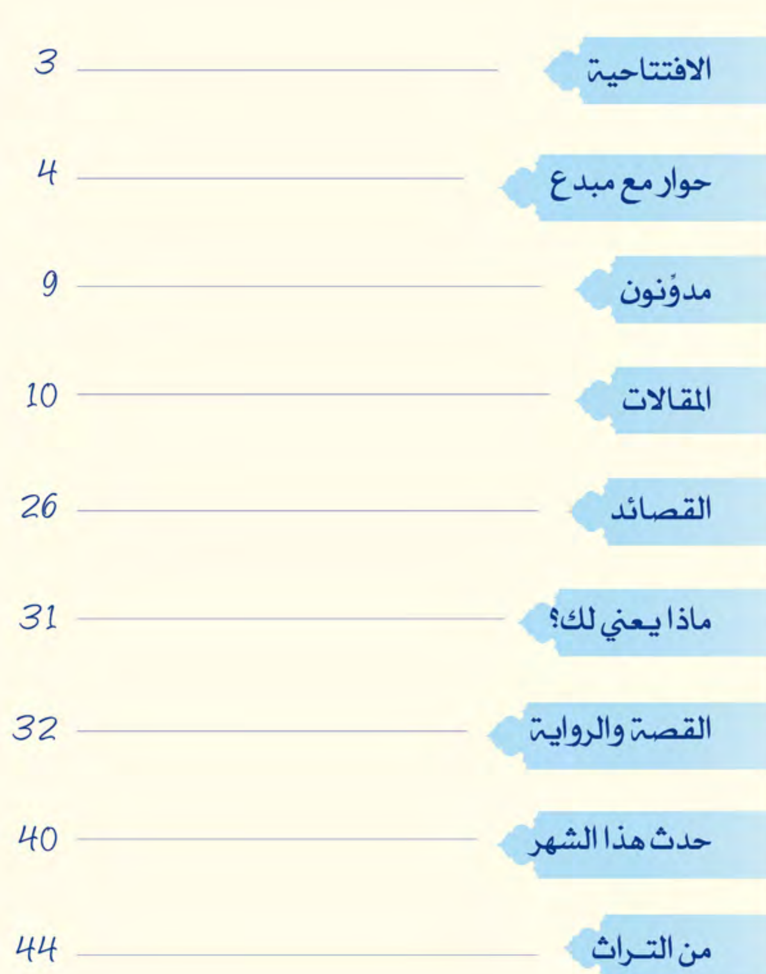
مُدوِّنون من facebook
ركن جديد

نلتقي لنرتقي؛ ونجتمع لننفع وننتفع

حوار مع مبدع

ضيف العدد

الأديب/ جيلانـــي ضيــف



مجلّة الخريدة

العدد 2 - شهر مارس 2016

الموافق لـ: جمادى الأولى - جمادى الآخر

للمشاركة في مجلّة الخريدة

أرسلوا نصوصكم عبر البريد الإلكتروني للمجلّة :

majalat.alkharida@gmail.com

أو عبر صفحتها على (Facebook) :

majala.kharida



الحمد لله على نعمة البيان، وصلى الله وسلم على أحسن من نطق بالضَّادِ، منضودا في جوامعِ كلمِهِ كالجواهرِ الحِسَان.. أمَّا بعدُ:

حمدا لك ربِّي

ظهر العدد الأول من «مجلة **الخريدة**» الإلكترونية، ورافق ظهورَها صدىً جميلٌ وصيتٌ طيِّبٌ، دفعا بالقائمين على المجلة إلى بذل جهدٍ أكبر للوصول إلى الهدفِ الأسمى والغايةِ القصوى، بأن تستردَّ «الكلمة القرآنية» مكانتها الشرعية في نفوس الجماهير العريضة، فضلا عن شريحة المثقفين والمتعلمين..

فكونُ المجلة يغلب عليها الطابع الأدبي لا يمنعُ من أن تتخذَ من الأدب -الذي تروِّجُ له- مطيَّةً لإبلاغ رسالةٍ هادفةٍ أو تمرير نصيحةٍ بالغةٍ، أو تجلية فكرةٍ غامضةٍ.. فالكلام عن التربية والتعليم، والتغيير والإصلاح، والفكر والاجتماع.. إلخ؛ لا يعدُّ خروجًا عن الإطار العام الذي سطَّرتهُ المجلَّةُ في افتتاحيتها السابقة [أنظر افتتاحية العدد-01جانفي2016]، ولا يتناقض -البتَّة- مع الرؤية الراسخة المبنية على الركنين الثابتين: «الأصالة والإبداع».

وقد جاءت المواضيع في إطار واحدٍ تقريبًا دون تواطؤ بين كتَّابها، تحسَّس القارئ بخطورة الرطانة باللغة الأجنبية، وتأثير ذلك على أفكارِهِ ومقوِّمات هويتِهِ، فيخبو حبُّ الوطن، ويتضاءل الشعور بالانتماء إلى هذه الأمة العظيمة. هذا بالإضافة إلى التنبيه على إعادة النظرة في طرق التعليم ومناهج التربية في المؤسسات التربوية، ولن يحدث هذا ما لم نولِ اهتماما بالغا للمعلِّم الذي يمثِّلُ حلقة الوصل بين الدرس والطالب!

سنركِّزُ جهودنا -بحول الله- فيما نستقبل من الأيام، في ترسيخ عقلية البناء التي تبدأ بغربلة ما لدينا من أفكار مكدَّسة لا طائل من ورائها (سوى هول حجمها، أين يجثم بعضها فوق بعض)، وترتيبها في أنساق تتيح الاستفادة منها، سالكين إلى تطبيق فحواها الطريق الصعب الوعر: «طريق الواجبات». ولن تكون لتلك الأفكار أدنى قيمة ما لم نرسم منهجية واضحة عند التطبيق!

وأوَّل المطر.. قطرة.



رئيس التحرير/ رؤوف بن الجودي.


حوار مع
مبدع

حوار مع مبدع

ضيف العدد

الأديب/ جيلاني ضيف

حاورته/ فاطمة قاضي

ضيفُنا لهذا العدد هو الأستاذ الأديب «جيلاني ضيف» الذي سيُطفئ -قريبا- شمعته الخمسين، متزوج وأب لستة أطفال: بنتين في المرحلة الثانوية، وأربعة ذكور أكبرهم يدرسُ بالجامعة، وأصغرهم يهمُ بوضع قدمه على عتبة التعليم الابتدائي. بدأ حياته أستاذا للغة العربية وآدابها، ويشغل -حاليا- منصب مستشار للتربية في التعليم الثانوي، بخبرة تزيد عن ربع قرن!

المجلة: بداية أرحّب بك ضيفي الجليل في ركن «حوار مع مبدع»، هذا الركن الذي لا يزال نوره مشعا بوجود أسماء لألاءةٍ مثل اسمكم.

الضيف: سعيدٌ بوجودي معكم.

المجلة: بدايةً.. كيف ومتى كانت بدايات الأستاذ جيلاني ضيف مع الكتابة في مجال الأدب؟

الضيف: لعلاقتي مع الأدب قصّة جميلة ومشوّقة تشكلت وقائعها منذ الطفولة المبكرة، حيث أولعت بقراءة النصوص الشعرية والقصص سيّما وأن المقررات المدرسية في ذلك الزمن كانت تحوي القيّم والمهم من هذه النصوص، فنُسجت من خيوط في مجال الكتابة تربطُني بكل ما هو جميل؛ علاقةٌ نمت وتوطدت وترسخت مع السنين، وكانت تكبر وتكبر وتتوسّع كلّما ابتعدت عن ضفاف الأدب لأبحر في أعماقه.

«جبران خليل جبران» الرسامُ الأديبُ والفيلسوفُ المتمرّدُ، الثائرُ على هيمنة البشر بإسم الدين وتحكّمهم في مصائر الضعفاء؛ كان له تأثير كبير في حياتي الأدبية والذوقية.. وكانت «الأجنحة المتكسرة» هي القصّة التي شجّعتني على المحاكاة حينما تحسّست في وجداني شيئا يتململ ويتحفّز للظهور، فكنت أتجرأ وأكتب خربشات، ولحسن حظي وجدت من يشجّعني عليها ويثمّنها ويبارك مسعى الكتابة من خلالها.

وأذكر فيما أذكر أنّني في مرحلة التعليم المتوسّط نظمت محاولة شعرية عن العلم، كانت أول مولودٍ في مشواري الأدبي.. وساعتها هرعت إلى أستاذ الأدب «شريك علي» -شفاه الله- وقدّمت له النص، فما كان منه إلا أن أمر بمحو موضوع الدرس الذي كان يزمع تقديمه، وأمرني بكتابة القصيدة على السبورة، وقال بلهجته المتينة الواثقة: «اليوم أيها الطلبة سندرس قصيدة لشاعر اسمه ضيف جيلاني».. وكم كانت تلكم العبارة مؤثرة رغم أن الأقدار لم تكتب لي أن أكون شاعرا، ولكنها أحدثت دفعة قويّة وشحنة تركت أثرها فيَّ إلى هذه الساعة.



درست بالثانوية القديمة وكانت الوحيدة يومئذ، وفيها امتدَّت أواصر المودة والشغف بالأدب العربي من خلال المقررات التي وسَّعت مداركي وإطلاعاتي، حيث فتحت لي فضاء مميّزا ومؤثرا، فأكببتُ على المطالعة، وكنت ألتهم الكتب التهاما كالذي ابتُليَ بشره القراءة، وكان الأساتذة والمهتمون

بالأدب يمدونني ويدعمونني بالمُتاح من الأعمال والكُتُب، حتى استطعت أن أجمع ما أمكن من الثقافة والمُكنة اللغوية التي جعلتني مَحَطَّ إعجاب الأساتذة وغيرهم ممّن عرفني.

المجلة: هل نستنتج من كلّ هذا أن توجهك إلى تدريس اللغة العربية، كان لإشباع هذه الشراهة الأدبية؟

الضيف: عندما أنهيتُ المرحلة الثانوية، كانت ملكتي الأدبية واللغوية قد تشكّلت، وهذا ما شجّعني وأثّر في توجهي المهني، ودفعني للتوجه إلى المعهد التكنولوجي للتربية لألتحق بصفوف قسم أساتذة اللغة العربيّة، وكانت أياما حلوة ومثمرة، توسّعت فيها مداركي وأُتيحت لي الفرصة لكي أُظهرَ مواهبي الأدبيّة وقدراتي اللغوية. وصادف أن كان أستاذي في وحدة علوم الأدب واللغة الأستاذ ابن الشيخ محمد صاحب الشخصية الأدبية والعلمية المرموقة، وكان فضله عليّ كبيرا، فقد شجّعني كثيرا وأمدّني بما كان ينقصني من الثقة في النفس، وله الفضل في تهذيب غروري وتحويله إلى طاقة عجيبة جعلتني أعيد حساباتي وأراجع كثيرا من آرائي ومواقفي..

في هذه الفترة أكببتُ على قراءة ودراسة الآداب العربية الحديثة من خلال ما كنت أجمعه من الدراسات والبحوث، ومن خلال القراءات الكثيرة لنصوصه. كما وجدت الفرصة سانحةً للاطلاع على الآداب الأجنبية مترجمة من الألسن الغربية إلى اللسان العربي، فتكشّف لي أن الأدب قدرٌ من أقدار الإنسان، وأن الملكةَ واحدةٌ والفنَّ واحدٌ وإن اختلفت الألسن. كما يمكن أن أجزم بأن حبَّ الأدب حبّبني في التربية، ومكّنني من النجاح فيها إلى الحد الذي جعل التربية تدفعني إلى التعلّق بالأدب، وهو الذي يعني في مرحلة ما من التاريخ تهذيب النفس وترقية المشاعر وترسيخ القيم النبيلة في النفوس. ووجدتني أديبا مربّيا، أوظف الأدب في التربية، وأربّي لأرضي مشاعري وعواطفي المتشبثة بالنصوص الجميلة الراقية.

المجلة: بما أن الأدب عبّد لك الطريق للتخصص في أسمى المهن، ألا وهي مهنة التربية والتعليم، فكيف تلخّص لنا رؤيتَكَ للأدب؟ ومن يستحق أن نطلق عليه صفة الأديب حسب رأيك؟

الضيف: قد سبقني الملايين من المتحدثين عن الأدب وجوهره وماهيته، وكلّ منهم أدلى بدلوه وفق قناعاته وفهمه، غير أنّي لا أزال متزمتا -في نظر بعضهم- عندما أصرخ قائلا: «لا أدب بدون قِيَم ولا قِيَم بدون أدب». فلا أحسب أنّ ما صِيغ من النثر والشعر في مجالات الخلاعة والبذاءة اللفظية والسلوكية، يمكن اعتباره أدبا، لأنه يتنافى مع رسالة الأدب ومنظر الأديب. أما الأديب الحقيقي فهو صاحب الملكة والموهبة، وهو الحريص على أن يُظهر الأدب في أبهى صورة، بعيدا عن الفُحش والانحراف في الشكل والمضمون. فكم من الذين يسمون أدباء وهم لا يستحقُّون هذا اللقب، بل الأدب منهم بريء!

إن رسالة الأديب هي رسالةُ الفنان الملتزمِ الذي يعبّر عن القِيَم النبيلة والمشاعر الجميلة والأفكار النيرة، وينقلها إلى القراء المتذوقين ليستمتعوا بها ويتذوّقوها، ويستعينوا بها في ترقية أنفسهم وتهذيب وجدانهم.

المجلة: بما أننا خضنا في الحديث عن الأدب والكتابة، كلّمنا عن عصارة إبداعاتك؟

الضيف: الحقيقة أن ولعي بالقراءة والاستفادة من المقروء جعلني أزهد في التصنيف والتأليف، فضلا عن علمي بأنّ كل شيء ممكن ويسير في هذا الوطن إلا نشر الكتاب، فهو الأمر المستحيل العسير. ومع ذلك فقد كانت لي إسهامات في مجال التأليف التربوي، حيث وضعت كتابين في علوم اللغة العربية لطلبة البكالوريا، رأفة بهم وتذليلا لما يلاقونه من مشقة التعلّم، وهما «فصول في علوم اللغة والأدب» [2009] و«الوائق في اللغة والأدب العربيين» [2012]، فضلا عن محاولة جريئة لإعداد مقرَّر مدرسي لتلاميذ السنة الرابعة متوسط، بديل عن المقرّر الرسمي الذي لم يخلُ من العور ولم يسلم من الشوائب والعيوب. كما أنني أعددت موسوعة بلاغية مدرسية ميسّرة، قام بطبعها المجلس الأعلى للغة العربية، ونلت بمقتضاها الجائزة الوطنية في علوم اللغة سنة2009م، كما أنّ لي مخطوطين قيد النشر في علوم البلاغة بعنوان «المدخل إلى البلاغة التطبيقية». وفي مجال التأليف الإنشائي، لي مجموعة قصصية لم أشأ نشرَها، ورواية بعنوان «عندما يثور القصدير»، لأنهما تحكيان مراحل من حياتي الشخصية، وقد كتبتهما استمتاعا بالكتابة لا طلبا للمجد أو الشهرة، وقد أغيّر رأيي يوما ما وأنشرهما. كما صدر لي عن «دار الخليل العلمية» و«دار الكفاية» الجزائريتين مجموعة «بناة المجد»، وهي مشروعي الأساس الذي أردته أن يظهر بغير الحلّة التي ظهر بها، وهي سلسلة تُعنى بالتأريخ للنخبة الجزائرية في الأدب والسياسة والإصلاح، أردت من خلالها إنصاف من ظُلم، ورفعَ الغُبن عمّن غُبن، وتذكير الأمة بجنايتها العظمى في حقّ الأفذاذ من بنيها. ولي مشروعان أحدهما تجسّد ورأى النور، وهو «ابن باديس المحرّر» و«الأمير عبد القادر بين الأمة والدولة»، وقد

طبعتهما دار أسامة للنشر والتوزيع، و«العبقرية الجزائرية في شخصيتي الأمير وابن باديس»، وهي دراسة حديثة فيها الجديد عن شخصية الرّجلين ودورهما في بناء وترسيخ ثوابت الأمّة الجزائرية.. هذا فضلا عن مشاريع أخرى.

المجلة: إذا عرَّجنا إلى الحديث عن القصيدة، فماذا تخبرنا عن علاقتك بالشعر؟

الضيف: للأسف الشديد ولسوء حظي أن علاقتي بالشعر انحصرت في دائرة التذوق والإعجاب، ومكتبتي -ولله الحمد- تتربع فيها دواوين الشعر العربي بفرسانه من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، وإن لم أكن شاعرا فأنا قارئ متميّز ومتذوّق للإيقاع، تطربني الأوزان وتحرّكني.

المجلة: نلمس من خلال كتاباتك دفاعك الدائم عن اللغة العربية، فهل يرجع هذا إلى كونك أستاذا للمادة، أم أن حال لغة الضاد يوجب ذلك؟

الضيف: اللغة العربية سكنت جوانحي منذ الصغر، وتربّعت في وجداني وخلدي ورافقتني، وكانت الأداة التي صغتُ بها انتصاراتي وانكساراتي، لذا فولائي لها وتعلّقي بها يستوجب أن أرافع وأدافع وأذود عن حياضها. مسألة الاختصاص في التدريس لم تكن يوما سببا في هذا الموقف، لأنّ العربية في نظري كانت هويّة ووجودا، ولا أعتبرني أساوي شيئا بدونها.. علاقتي بالعربية بدأت أيام كنت أترنَّمُ:

لا تـلـمـنـي فـي هـواهـا
أنـا لا أهـوى سـواهـا

لـغـة الأجـداد هـذي
رفـع الله لـواهـا

المجلة: لا مجال للشك بأنك الأب القدوة في المطالعة والأدب، هلا حدثتنا كيف كان دورك في هذا كأستاذ، خاصة أن نسبة المقروئية في تقهقر يدعو للقلق؟

الضيف: أذكّرك بأنني تحرّرت من المهنة، غير أنني أسوق تجربتي السابقة للإفادة. المطالعة جزءٌ مهمٌ من نشاطي اليومي، وأذكر أنَّ أول ما سعيت إليه هو تقريبُ الكتاب من التلميذ، وخلقُ حيّزٍ لهذا العنصر الهام في بناء المعرفة، من خلال التشجيع على القراءة والتعويد عليها، ومن خلال المسابقات الفكرية وإعداد العُروض التي تعرّف بالكِتَاب ومؤلفه وموضوعاته. كما أنني أذكر أن صورتي ارتبطت بالكُتُب، إذ حرصت على ألا يراني تلاميذي إلا وفي يدي كتاب.

وإذا كانت المقروئية اليوم تسجل نِسبا متدنية في مجتمعنا، فهذا مؤشر خطير وظاهرة غير صحيّة لا يمكن تجاوزهما إلا بترسيم القراءة كسلوك يومي اجتماعي وكنشاط فردي وجماعي، وذلك من خلال التشجيع على التأليف والنشر والقراءة والترويج للكتاب كمنتوج مهم لا يقلّ أهمية عما يُروّج له في وسائل الإعلام. لا شكّ أننا إذا أعدنا صوغ علاقتنا بالكتاب والمعرفة، سنُرسي ملامح مجتمع مثّقف يقرأ وينتج ويتذوق ما يقرأ.

> " قد سبقني الملايين من المتحدثين عن الأدب وجوهره وماهيته.. وكلٌ منهم أدلى بدلوه وفق قناعاته وفهمه. غير أني لا أزال مترمتا في نظر بعضهم عندما أصرخ قائلا: «لا أدب بدون قيم ولا قيم بدون أدب»... "

المجلة: «شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب»، هو البيت الذي علمنا أبجديات الشعر، إضافة إلى رسمه الصورة الأولية لهوية الجزائر في أذهاننا. كيف تأثر جيلاني ضيف وهو تلميذ يجلس خلف طاولة التمدرس بهذا البيت؟ وماذا يمثِّل العلَّامة «ابن باديس» لكم؟

الضيف: لا أزال أذكر أن أول سؤال طرحته على معلمي الأول في مشهد جريء؛ كان عن هويّة هذا الرجل الذي ترك فيَّ -كبيرا وصغيرا- أثرا متميزا، ولعل هذا الأثر لازمني طيلة حياتي، وكان قلمي وفيا لذكراه عندما كتبت عنه وبحثت في أسرار حياته الشخصية، وفي مراحل حياته الفكرية ونشاطه الإصلاحي. قلت في واحد من كتبي عن ابن باديس: «إذا



ذُكرت العربية يُذكر معها ابن باديس، وإذا ذكرت الجزائر كان لزاما أن نذكر ابن باديس أيضا.. هذا الرجل الأيقونة المشيرة والمدللة على عبقريّة هذا الشعب. فضل الرّجل على العربيّة لا يدانيه فضل، وإذا كان سعى إلى تحرير العقول قبل تحرير الأبدان، فأنا أذكر له ميزة ومزيّة فريدة تُحسب له دون غيره، وهي أنّه حرّر اللسان الجزائري من لوثة الفرنسية».

المجلة: كمثقف عايش الأوضاع المزرية التي يمر بها العالم، كيف تقيمون الوضع الراهن؟

الضيف: المثقف بُعدٌ إنساني متميز في كل مجتمع، يتأثر ويؤثر، ولا أبالغ عندما أذهب إلى القول بأنه بحكم دوره الطليعي في قراءة وتوجيه الواقع، يكون أكثر تأثرا وتفاعلا مع محيطه، خصوصا إذا كان هذا المثقف مستشعرا للمؤثرات التي تترك بصماتها على مواقفه وآرائه وتوجهاته. عالمنا المعاصر يتخبط في دوامة من الفوضى وعدم الاستقرار والاضمحلال القِيمي. وعلى المستوى الشخصي أرى أن كثيرا من مشاكل الإنسان المعاصر ليست اقتصادية ولا سياسية ولا علاقة لها بالتطلع إلى الديمقراطية كما يروّج الساسة وتنشر الصحافة، ولكن المشكلة تكمن في أن الإنسانية تجرّدت من فطرتها السليمة، وطلّقت روحها السلمية، وتخلصت مما يحقق التوازن. الإنسانية الموجوعة بالحروب والأوبئة والمجاعة والفقر والأمية، لا يمكنها أن تجد حلولها في فوهات المدافع والدبابات ولا على منابر الساسة؛ وإنما في عودة الإنسان إلى إنسانيته.

" المثقف بُعدٌ إنساني متميز في كل مجتمع، يتأثر ويؤثر، ولا أبالغ عندما أذهب إلى القول بأنه بحكم دوره الطليعي في قراءة وتوجيه الواقع، يكون أكثر تأثرا وتفاعلا مع محيطه... "

المجلة: انطلق في الفترة الأخيرة برنامج تلفزيوني بعنوان «شاعر الجزائر»، خبّرني كيف إستقبلتَ هذه البادرة؟ وما توقعاتك من مثل هذا البرنامج الأول من نوعه في الجزائر ؟

الضيف: مبادرة محمودة إن هي استمرت واحتوت الجميع، والجزائر تملك أصواتا شعرية مميزة ومعتبرة، وأعتقد أن برنامجا كهذا سيكون له الأثر الطيب في الأوساط الشعرية، وأتمنى أن يتوسع يوما ليصبح «أديب الجزائر»، لأن المواهب كثيرة والأقلام التي تكتب في صمت كثيرة، وجدير بنا أن نسلط الأضواء الكاشفة حتى يعود للأدب الجزائري ألقه وحضوره.

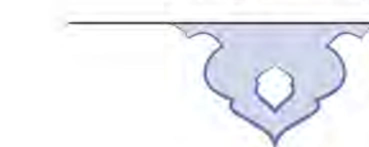
الموضوعية تقتضي ألا نتعجل بالحكم على ما لم ير النور بعد، ومع ذلك أنا متفائل من منطلق ثقتي في عبقرية الإنسان الجزائري وقدرته على الإبداع.

المجلة: بعد شكر حضورك معنا، ماذا يمكن أن يقول لنا المبدع جيلاني ضيف في كلمة أخيرة نختم بها هذا الحوار؟

الضيف: يصعب عليَّ أن أنهي حديثا فتح لي فضاءً للتعبير عن جوانب مهمة في حياتي. والحقيقة أنني سعدت كثيرا بالحديث إليكم، وما أثر فيّ كثيرا هو نوعية الأسئلة التي حرّكت فيَّ فضولا وفصولا من المشاعر والآراء.

أحبّ أن أختم هذا اللقاء بالإبانة عن اعتقاد راسخ في فكري ووجداني بعظمة الأمة الجزائرية وعبقريتها، وباعتزازي المطلق بكل ما يميز شخصيتها، واعتزازي أيضا بالانتماء إلى الأمة التي أنجبت «عبد القادر» و«ابن باديس» و«الإبراهيمي» و«مولود فرعون» و«مفدي زكريا». وأمنيتي أن تظهر في حياتنا المعاصرة نسخٌ من هذه الشخصيات الرائدة المِعطاءة، لأنّنا أحوج ما نكون إليها في هذه الفترة العصيبة من حياتنا.

كما لا يفوتني أن أقدم أصدق الثناء لمجلتكم الفتية وطاقمها الشاب الذي كسر جمود الحياة الأدبية المحلية، وحقنها بجرعة ليظهر فيها هذا المولود.. أشكركم كل الشكر، وأبارك مسعاكم وأدعو لكم بالتوفيق والاستمرارية. [اهـ].





لا توجد نخبة!

فالمبادئُ أوهامٌ وفزَّاعاتٌ، توضع لطرد البسطاء –أمثالنا- من ساحة الحسم.. لأنَّ الحاجة مثلما كانت أمَّ الاختراع، فلقد حبلت بالخضوع لمن ملك العطاء!

معمر عيساني



بوعزَّة أنيم

كلما أغمض عيني أسمعُ صوت القلب يتكسَّر، لذلك لم أعد أنامُ إلَّا مستيقظا!

حين يقترب رصيد الأمل من النفاد، ويضيق حالك ولا تكاد أنفاسك تنطلق، وتعتقد أنَّ الجميع ضدَّكَ، ولا أحد يفكر فيك؛ هكذا وبتدبير من الله، يأتيك الفرج في رسالة، نقطةٍ من نور.. حينها اِبتهج وتوجَّه بالدُّعاء إلى الله لأنَّهُ يقول لك: «أنا معك»!

أيوب بشيري

فإنَّ مع العسرِ يسرا

الفضيل بلعروسي

من الأمور الهامة التي تخفى على الكثيرين؛ مناجاةُ الله سبحانه.. أن يكون بينك وبينه حديث خاص، حوارٌ حصري، تشكو فيه إلى الله همومك، تفرش بين يديه آمالك وطموحاتك، تسكبُ أمام بابه دموعك، ندما على تقصيرٍ أو خطأ...

وصال جوَّادي

من يعتاد العفوية،
يعيشُ في راحة تاركا الناس لإثم الظنون!

عبد الله لالي

هنالك تيَّارات فكرية في حقيقة الأمر هي مجرَّد نُخب (ضيِّقة)، ومنها نخب التيار اليساري تحديدا، تمسك بكثير من مفاصل الإعلام والثقافة، وتُروِّج لمريديها في حين، تُقصي كلَّ من يمثِّلُ الأصالة والقيم، ويعبِّرُ عن عمق الأمَّةِ ووجدانها..



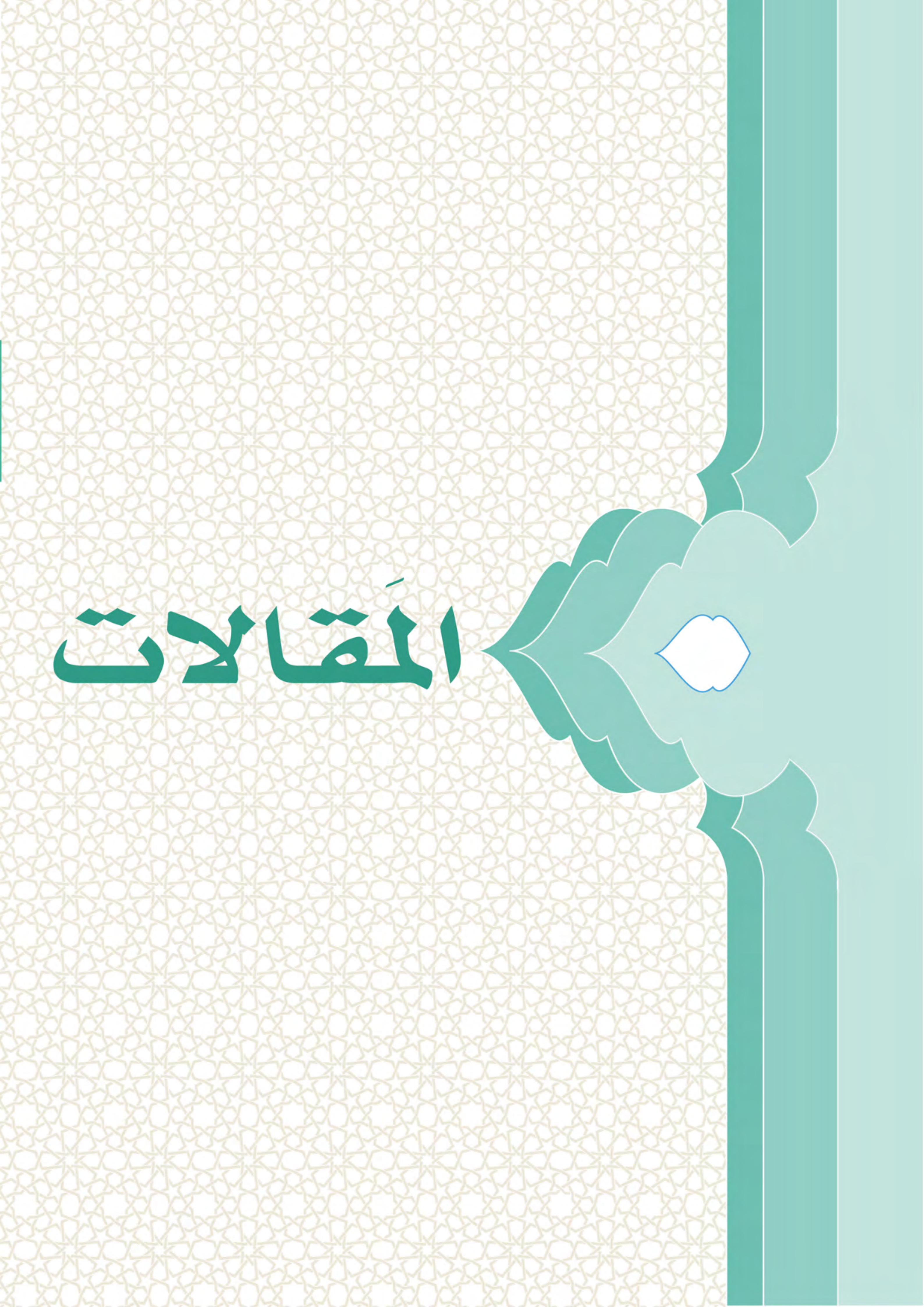
حيدر بلفانجي

الحلم هو هدف لم نبلغه بعد، إن أدركناه عرفنا مقدار سخافته، وإن لم ندركه عرفنا مقدار سخافتنا!

أيَّتُها العدالة الغائبة، أرسلُ إليكِ نداءَ استغاثةٍ عاجل.. إحداثياتي كما يلي:

«خطُّ الطول: منتهى الصبر..؛ خطُّ العرض: منتهى اليأس..؛ الارتفاع: تحت مستوى الفقر..؛ مكان التواجد: المدينة الظالمة»!

عمر خزَّار



المَقالات

المَقالات

عن التعليم أتكلم...

رؤوف بن الجودي

قضيتُ سنوات من عُمري، أكوِّن المتربصين في شتى البرامج والمهارات، اكتسبتُ -خلالها- خبرة مُعتبرة، مكنتني من استيضاح الرؤية بخصوص «طُرق التكوين»، و«بيداغوجيا التعليم». وقد أفدتُ كثيرا من مُطالعاتي في كُتُب «التنمية البشرية»، ومتابعاتي لدروس «علم النفس التحليلي»؛ في تطوير قدرتي على التغلغل في ذهنيات الطلاب، والوقوف على مواطن الضَعف في الفهم الذي سببه في الغالب المنهجية المتَّبعة، والطرق العقيمة في بسط الدرس للطلاب.

إنَّ الكثير من المتصدرين يظنُّونَ -للأسف- أنَّ التعليم مهمَّةٌ سهلة، أي بمجرد الحصول على المعلومة يُصبح هذا المتصدِّرُ معلِّما مستوفي الأدوات!

وفي واقع الأمر، إنَّ أهون المعلمين قدْرا، مَن تكون بحوزته المعلومةُ مجردةً؛ إذ امتلاك المعلومة ليس إلَّا شرطا مبدئيا، يتطلب شروطا أخرى، كي يتأهل المعلِّمُ بجدارة واقتدار لهذه المهمَّة النبيلة. ومن بين تلك الشروط أن يكون المعلمُ «بيداغوجيا»[1]، يسيرُ على منهجية واضحة المعالم، ترتكزُ على الدرس النظري النوعي، وعلى التمارين التطبيقية المُختارة بعناية.

• بعض التعريفات لمصطلح «البيداغوجيا»

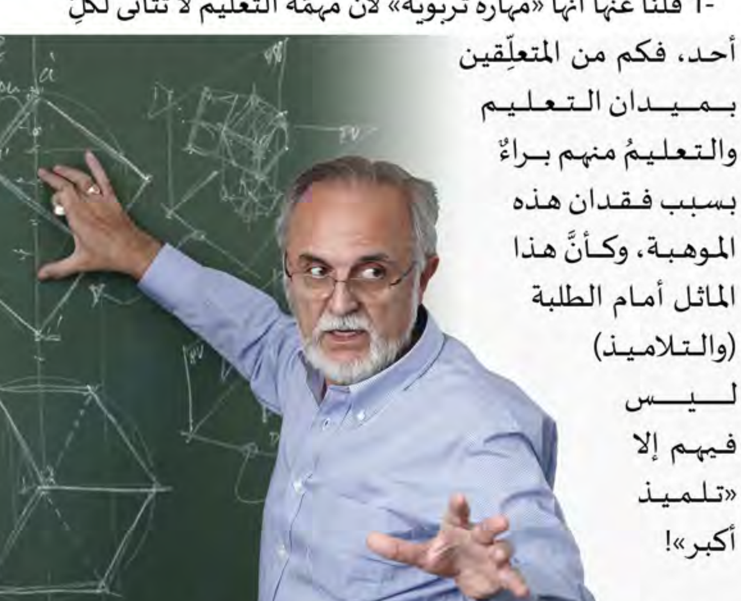
يُعرف إميل دوركايم «البيداغوجيا» على أنَّها: «نظرية تطبيقية للتربية تستمدُّ مفاهيمها من علم النفس؛ وعلم الاجتماع». في حين يصرِّح روني أوبير بأنَّها: «ليست علما ولا تقنية ولا فلسفة ولا فنًّا؛ بل هي هذا كلّه منظَّم وفق تمفصلات منطقية»!

أمَّا بقية الدارسين؛ فيختصرون البيداغوجيا -بكلِّ بساطة- في «عملية إيصال المعلومة». فهذا التعريف على قصوره لا يؤدي سوى بعض معنى البيداغوجيا الحقيقي، لا كلَّهُ.

• إعادة النظر حول مفهوم «البيداغوجيا»

نرى أنَّ «البيداغوجيا» مهارة تربوية تَبرُزُ في القدرة على تبسيط المعلومة (الرسالة) في صورة مُفهمة، ثمَّ تبليغها للمتلقي، ثُمَّت التأكد من وصولها صحيحة إلى ذهن ذاك المتلقي. ولهذه المراحل الثلاث، تقنيات وآليات تتبع كلَّ مرحلة على حدة.

-1 قلنا عنها أنَّها «مهارة تربوية» لأنَّ مهمَّةَ التعليمَ لا تتأتَّى لكلِّ أحد، فكم من المتعلِّقين بميدان التعليم والتعليمُ منهم براءٌ بسبب فقدان هذه الموهبة، وكأنَّ هذا الماثل أمام الطلبة (والتلاميذ) ليس فيهم إلا «تلميذ أكبر»!



وهذه المهارة لا تكفي فيها الموهبة لوحدها؛ بل يجب تعزيزها بمكتسبات ذهنية ونفسية وتطبيقة؛ هنَّ نتيجة خبرة ومراس في هذا الميدان. ويمكنُ قياس قيمة هذه الموهبة عن طريقة بعض المظاهر التربوية، كـ: القدرة على الإلقاء، ووضع المنهجية، والتلخيص الغير المشين، وضرب الأمثلة... إلخ

وقلنا: «تَبرُزُ في القدرة على تبسيط المعلومة في صورة مُفهِمة»، لأنَّ مجرد الإيصال للمعلومة بدون تبسيط، هو نقلٌ ساذجٌ لا مزية للمعلم فيه. فـ«التبسيط» هو عملية هي نزولٌ اِضطراري إلى مستوى الطالب، بحيث تصبحُ المعلومة وفهم الطالب على مستوى واحدٍ، يسمح بحصول عملية الاستيعاب بشكل سريع وتام.

ولهذا التبسيط وسائلُ منها: إعطاءُ أمثلةٍ قريبةٍ من ذهن الطالب ممَّا يدور حوله من أشياء، ومما يدخل في قدرة تصوره وتخيُّلِه، مشيًا على قاعدة «إثبات وجود الغائب بالشاهد».

فمثلا: إذا أردنا أن نقرِّبَ للطالب أجزاء الحاسوب من معالج (CPU)، وذاكرة حيَّة (RAM)، وقرص صلب[2] (DISQUE DUR): فإنَّنا نصوِّرُ له صورة الحاسوب المعقَّدة في صورة بسيطة قريبة إلى ذهنه، فنقول له: تخيل أنَّ لدينا مكتبا، ومكتبة بها كتب، ورجلا يريد المطالعة، فالرجل (يمثل المعالج) إذا أراد أن يُطالع كتابا (وهو الملف الرقمي) يسحبه من المكتبة (وهي القرص الصلب)، ولمُباشرةِ القراءة يفتح الكتاب على سطح المكتب (الذي يمثل الذاكرة الحيَّة)!

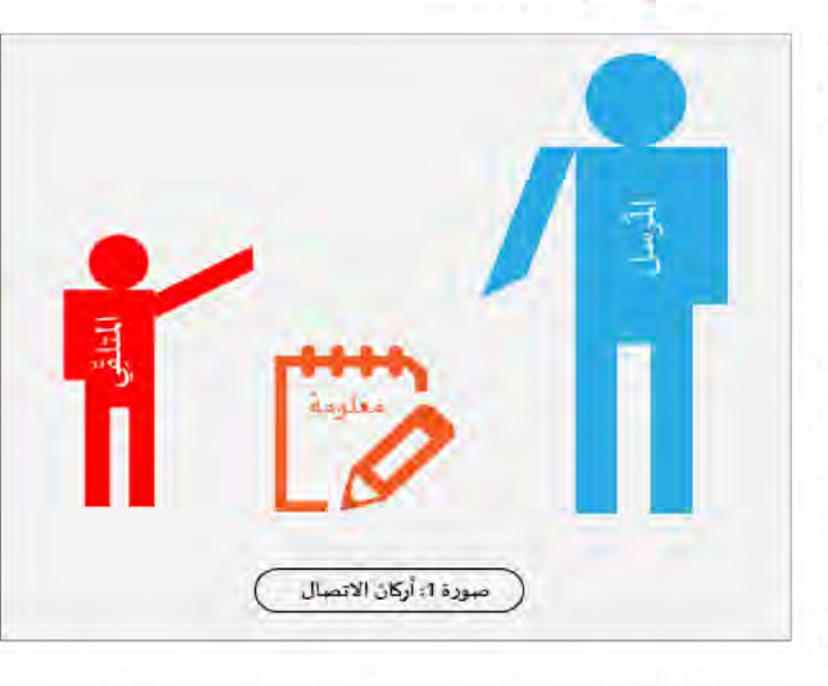
وهناك طريقة أخرى أكثر نجاعة وأقلُّ إرهاقا للمعلم من الأمثلة التقريبية السابقة، وهي تقنية «الشرح عن طريق الرسم»، وهي تقنية تتطلَّب مهارات خاصة بالرسم لإنشاء ملخَّصات عبر أشكال وأسهم. فمثلا يمكنكَ أن تعمل مختصرا للدرس الطويل بواسطةِ رسمٍ إنشائي واحد. ولقد استُغلَّتْ هذه التقنية- في علوم اللغة التي اصطلحوا على تسميَّتها بـ«تشجير المُتون»، فاختصروا «متن الآجرّومية» ومتونا أخرى في شتَّى العُلوم على شكل شُجيرة، ليتيسَّرَ استيعاب مضمونها، ويسهل حفظه...

-2 وقلنا أيضا: «تبليغ المعلومة للمتلقي»، ولهذه العملية ثلاثة أركان:

- المُرسِل (وهو المعلم).

- الرسالة (وهي المعلومة).

- المتلقي (وهو التلميذ أو الطالب).



صورة 1: أركان الاتصال

فلكي تنتقل المعلومة من المرسِل إلى المتلقي بطريقة صحيحةٍ وسليمةٍ؛ يجب أن يكون هذا المتلقي متحفزًا لهذا التلقي، بوجود نية للتلقي، مع التوافق في لغةِ الخطاب، إضافة إلى بساطة صورة المعلومة المتلقاة.

وفي هذه المرحلة -بالذات- يحصل استخفافٌ شديد بخصوصِ استيفاء هذه الأركان الثلاثة. فمثلا: يُخطِئُ بعض المُعلمين بإهمال عملية تحفيز الطالب، وذلك لمَّا يُغفلونَ تحسيسه بأهمية تلك المعلومة أو الدرس الذي يشمل هذه المعلومة؛ كعدم تذكيره بفائدة ما يتلقاه في خاصة نفسه أو عدم التنويه بصلة المعلومة بغيرها من المعارف. في حين أنَّها الطريقة التي سيقرِّرُ الطالب -من خلالها أيتلقَّى الدرس- أم لا.

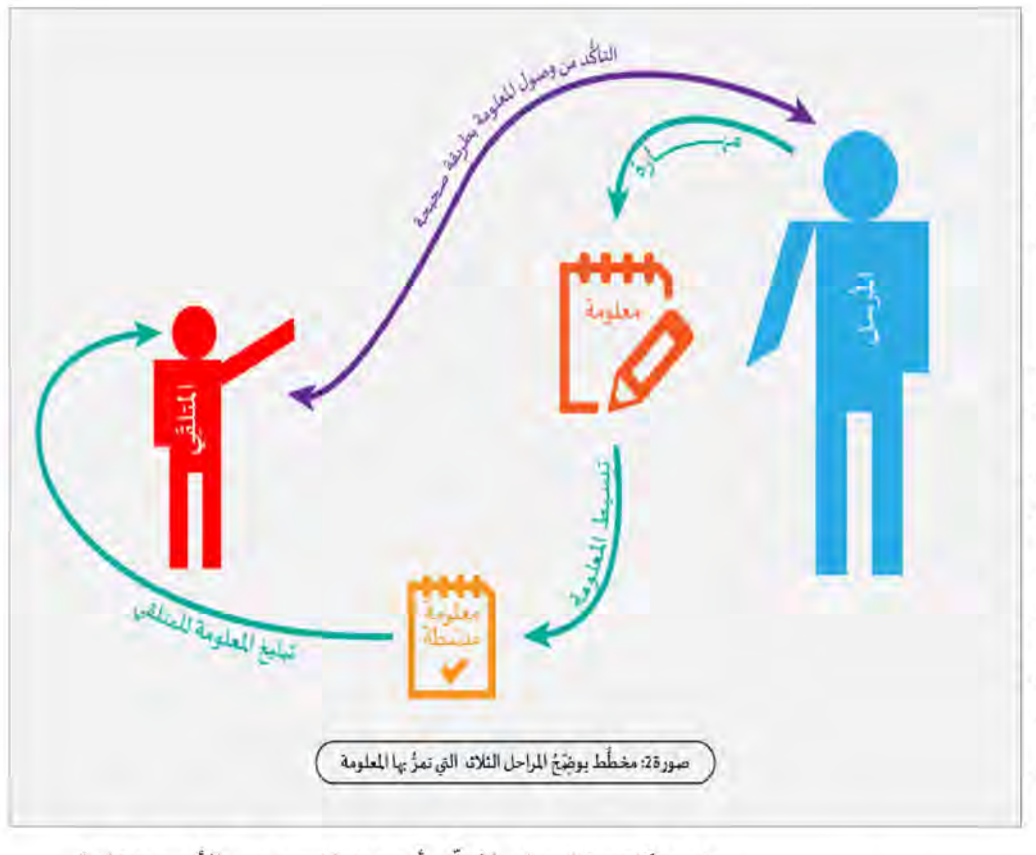
يمثِّلُ التوافق في لغة الخطاب شرطا أساسيا، لتكون هنالك «ناقلية نوعية» تسمح بتمرير الرسالة التي تحمل في طيَّاتها المعلومة المرغوب في إيصالها إلى ذهنِ الطالب.

فمثلا: ليس من اللائقِ التخاطب بلغة أعجمية مع مَن لا يحسن سوى العربية، ولا التكلم بالأسلوب العلمي مع مَن لا يفقهُ المصطلحات العلمية المبهمة، ولا مخاطبة الصغير بأسلوب مخاطبة الكبير، وهكذا..

-3 وأخيرا قلنا: «التأكد من وصولها صحيحة»، وهذه المرحلة بالذات يُهملها أغلب المعلمين بالكلِّية، بدافع الإسراع في الفراغ من الدرس -مثلا- أو لظنه بأن التحقق من مدى استيعاب الطلاب ليس من صميم أمانة التعليم.. فلا يكون المعلمُ جديرًا

بهذا اللقب في زعمي؛ ما لم يختبر فهمَ تلميذه، واستيعابَه التَّام للدرس. وهذا الاختبار لا يكون دائما شفويًّا مُباشرا (عن طريق السؤال أو الحوار)، بل هناك طرق أخرى أكثر تأثيرا ونجاعة.

فمثلا لو افترضنا تلميذا «خجولا»، وآخر «حافظا»، وآخر -غير هذين- «فاهما ذكيًّا». أجرينا طريقة الاختبار الشفوي على ثلاثتهم؛ سنجدُ أنَّ هذه المسائلة الشفوية قد تُجدي مع الطالب الفاهم والحافظ، واحتمالٌ كبير أنَّها لن تكون لها أيَّةُ نتيجة مع الطالب الخجول.. وبعدُ؛ قد لن نستطيع الفصل بين الطالب الحافظ، والطالب الفاهم الذكيِّ، اعتقادًا منَّا أنَّ كليهما قد فهِمَ الدرس!



صورة2: مخطَّط يوضِّحُ المراحل الثلاث التي تمرُّ بها المعلومة

فالطريقة التي يُعامل بها الخجول يجبُ أن تختلف عن الطريقة التي يُعامل بها الجريء، والطريقة التي يُعامل بها الذكي يجب أن تختلف عن الطريقة التي يُعامل بها الطالب المحدود .. فلكلِّ حالة نمطُ معيَّنُ في التعامل معها ...

لهذا نرى أنَّ يكتسب المعلِّمُ مهارات معيَّنةٍ، يتلقَّاها عن طريق دورات تدريسية خاصة، أو عن طريق الاطلاع على كتب متخصصة؛ كـ«قراءة الوجوه» و«لغة الجسد»[3]... التي تعطيه مُكنةً في تحليل نفسية الطالب، ومعرفة نمط شخصيتِهِ، وهذه المهارات ستغنيه عن السؤال، وستمكِّنُهُ من تحديد السلوك المناسب في تعامله.

إنَّ هذه «البيداغوجيا»، مهما وصلت لحدِّ الكمال، إلَّا أنَّها تبقى بحاجة إلى النقد المستمر قصد تحسينها حسبَ متغيِّرات العصر، وما يطرأُ من تطوُّرات تصيبُ الفرد (المرسل والمتلقي) وكذلك المعلومة (الرسالة) [انظر ما سبق].

• خلاصة

ولقد ركزتُ في مقالي على المعلِّم دونَ غيره؛ لأنَّ مُستقبلَ التعليم منوطٌ به، ولن يصلح المعلمون إلَّا إذا صَلُحَ تعليمهم، «فالتعليم هو الذي يطبعُ المتعلِّمَ بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياتِهِ (...) فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم...»[4].

وفوق كلِّ هذا، على المعلِّمِ أن يتضلعَ ببعض الأدب وثقافة عامة؛ يرفِّه بها عن الطَّلَبةِ كي لا يسأموا درسه، وهذا -الذي أقول- ليس فضلة؛ بل شرطٌ بات أساسيًّا ومهمًّا لجعل المتلقِّين يقبلون على الدرس بكل همَّةٍ ونشاط... كما للمُعلِّم دور رئيس في توجيه ثقافة الجيل[5]، وفي تنشئتهم على الأخلاق الحسنة، والتربية السليمة المبنية على القيم الإسلامية الصحيحة التي تنبذ العنف والتطرف، وتميل إلى الصفح والتسامح؛ كما أنَّ له دورًا آخر في تقريب الكتاب من الطالب، وتوجيه إلى قراءة كُتبٍ نوعية تختصر له الطريق لتوسيع معارِفِهِ، وتمهِّدُ له الولوج إلى ثقافات العالم المختلفة.[اهـ].

---

1) أو ما يُطلق عليها المفكر الجزائري مالك بن نبي «أسلوب التكوين».

2) أو ما يسمى بـ«آلة نيومان».

3) أقصد بالضبط «علم قراءة الوجوه»، وهو علم حديث أسس قواعده البروفيسور الأمريكي «بوول إيكمان».

4) كتعريفِهِ لمآثر السلف الصالح، وتحبيبه للوحيين (الكتاب والسنَّة)، وترغيبه في لغة الضاد...

5) آثار الإمام ابن باديس، ج-2ص217



نحو تـربية لغوية راشدة

جيلاني ضيف

قد يكون هذا العنوان غريبا بعض الشيء، لأنَ لفظة الرشاد ومشتقاته تـرتبط في الغالب بمواضع الهدر أو سوء التصرّف والإنفاق، لكنَ جانبا مهمّا يـرتبط بهذه اللفظة وهو ما يتعلّق بطرائق وآليات التـربية اللغوية التي نوجهها لأطفالنا في البيت والمدرسة والشارع..

لأنّ مستوى هذه اللغة ودرجة نقائها وسلامتها، يقتضيان منا أن نعمد إلى مراجعتها وترشيدها بما يتناسب مع غايات ومرامي تربية الطفل الجزائري عموما، بما في ذلك الجزء المهم وهو التربية اللسانية التي يبدو أنها لا تشكّل أمرا ذا بال لدى العامة، رغم أنّ النظام التعليمي يسعى جاهدا لأن يكفل للمتمدرسين القدرة اللغوية التي تمكنهم من التواصل والتعبير والإفصاح عن مكنونات نفوسهم بأساليب وطرائق تعليمية، منها ما هو مؤتٍ أكله، ومنها ما هو هجين دخيل لا يتناسب مع طبيعة اللسان العربي. وإذا كنا نتحسّر ونضرب كفًّا بكفّ عندما ننظر إلى المستوى العام للخطاب اللغوي في المجتمع الجزائري من حيث القدرة على المشافهة والكتابة ومن حيث السلامة التعبيرية، فضلا عن إتقان التعبير، فإنّ ذلك مردّه إلى موقفنا ونظرتنا وكيفية تعاملنا مع جانب مهمّ من التربية وهو التربية اللغوية التي لا تُراعى إلا لماما في البيت والمدرسة، ويُتعاطى معها تعاطيا محتشما لا يشجّع على تكوين الفرد تكوينا لغويا صحيحا وسليما.

والأدهى والأمرّ أن أطرافا كثيرة تُسهم في عرقلة وتثبيط ما تقوم به المدرسة في مجال التنشئة اللغوية والتكوين الخطابي، وهذه الأطراف التي يفترض أن تكون داعمة لها؛ تتحوّل إلى مناقض في الفعل. ونذكر على سبيل المثال: «الإعلام» وما يقدمه من برامج تشدّ الأطفال في الغالب، وسنعرض ذلك لاحقا.

• اللغة أداة تواصل، بل أكثر

اللّغة[1] باعتبارها أداة التواصل الاجتماعي، وباعتبارها الوعاء الذي يضمّ عناصر مهمّة من حياة الفرد والمجتمع، هي جانب مهمّ ومهارة ضرورية وأداة أساسية لا يحتاجها الأطفال للتواصل والاندماج في مجتمعهم فحسب، ولكنها الأداة التي تمكنهم من فهم ما يجري في محيطهم الأسري، أضف إلى ذلك أنها أداة التعلّم، وهي عند كل طفل تكتسي أهمية كبيرة بدليل أنه يتعلّمها منذ اللحظة الأولى من حياته.

ويجمع الباحثون المختصون في هذا الشأن أن الطفل يبدأ منذ الأشهر العشرة الأولى من عمره بتوظيف الأصوات التي تشكّل أساس الحصالة اللغوية التي سيقيم عليها شخصيّته اللغوية، مع أنه سيتخلّى عن هذه الأصوات فيما بعد لأنه سيكتشف عدم جدواها. وإذا ما سألنا عن الطريقة التي يعتمدها الطفل في بناء لغته، فإن البحث يؤكّد أن ترديد المناغاة (وبعد ذلك التقليد والمحاكاة) أساسُ لغته، إذ يتمكّن من نطق كلمته الأولى -غالبا- في عامه الأول، وهناك من يدّعي أن الطفل يظل معتمدا على تقليد الآخرين فيما يقولونه حتى سنّ السادسة. ويتوقّف نشاطه في تعلّم اللغة واختيار المفردات على عوامل عديدة، منها ما هو «عضويّ» ومنها ما هو «نفسي»، ومنها ما هو اجتماعي أيضا، ويلجأ الأطفال إلى فتح حصالاتهم اللغوية وتنظيفها من الكلمات والألفاظ التي يثبت عدم نفعها أو جدواها أو التي يأبى العرف المجتمعي استعمالها، فيكون مصيرها أن تُترك لتموت.

لقد وجدنا الطفل يزداد تألّقا ومضاء في تعلّم اللغة وجمع أكبر قدر من المفردات التي يتواصل بها مع الآخرين من خلال نشاطه الاجتماعي «الجمعوي»، كما ألفيناه يجمع الغثّ والسمين من الألفاظ والكلمات دون مراعاة قاعدة معيّنة أو أساس لهذه الكلمات، وعندما نفتح حصالته اللغويّة فإنّنا نجد فيها الغثّ والسمين وربّما نجد فيها الصحيح والعليل من الألفاظ، كما نجد فيها اللفظ العربي والأعجمي، وهذا في الحقيقة مرآة عاكسة للّغة السائدة في مجتمعه، ولهذا نقول إنّ لغة أيّ مجتمع يمكن معاينتها على ألسنة أطفاله، إذ إنهم يستجيبون لما يتواصل به النّاس في هذا المجتمع دون انتقاء أو تزويق وتنميق كما يفعل الكبار، فالطفل في مراحله العمريّة يتحدّث على سجيّته ويتواصل بهذه اللغة التي يبدأ في تهذيبها مع

تقدّمه في السنّ واتساع مداركه الثقافية من خلال المشاهدة (الرسوم المتحركة والأشرطة والأفلام...إلخ) والاستماع، وكذا الدراسة.

إنّ حصالة الطفل اللغوية تمتلئ في مرحلة ما كأيّ حصالة، وهذا ما يستدعي إفراغها وإعادة تعبئتها، لذا فإن هذه اللغة تكبر معه وفق المحيط والتحولات الفكرية والثقافية الخاصة به أو بمجتمعه، وهذا ما يفسره اختلاف أساليب التواصل في المجتمع الواحد عبر فترات زمنية متباعدة.

• علاج التذبذب الحاصل في أطوار الطفل المختلفة

إنّ الطفل الجزائري اليوم يتعلّم اللغة العربيّة في المدرسة، ويتعلّمها أيضا في البيت عندما يجلس إلى شاشة التلفاز، ومن خلال هذه المشاهدة يأخذ الكثير من الألفاظ والمفردات التي يسمعها ويخزّنها في حصالته[2]، ويتواصل مع رفاقه في الطريق والملعب وفي المسجد أو المكتبة بهذه اللغة على نحوِ ما تعلّمه، وهذا مؤشّرٌ صحيٌّ مهمٌّ على أنّ العربيّة قدرُ هذه الأمّة التي لم تتخلّ عن لغتها رغم ما لقيت من محاولات الفَرْنَسَةِ طيلة مئة وثلاثين عاما، وهو إحدى القرائن التي أقمتُ عليها «استشرافي» أنّ الفِرنسيّة لن تعيش في أرضنا أزيَدَ من خمسة وعشرين عاما من الآن!!

وهذه الصّحوة اللغوية لدى أطفال الجزائر مؤشّر على أنّ اللغة العربيّة هي «اللغة الأمّ»، وهي أداة التخاطب التي يحرص الآباء والأمهات والمربّون والأساتذة على دعمها وتأصيلها ودعم سريانها ورسوخها على الألسنة. وقد أكّد هذه الصحوة اللغوية باحثون توصّلوا إلى أنّ اللغة التي يتواصل بها الأطفال في محيطهم الطفولي المدرسي أو الاجتماعي: لغة أرقى من اللغة المتداولة في نشاطنا اليومي وحياتنا العامة. وما يُخشى على حصالة الطفل الجزائري اللغوي أن تتغلّب عليها اللغة الشعبيّة التي لا تراعي قاعدة ولا قيمة في الغالب، كما نخشى عليها ألا يشجّعها بعض الآباء والأمّهات، وأن يتجاهلوا أهميّة وخطورة الألفاظ والعبارات التي يتداولونها في البيت والشارع. وإذا كنا أشرنا إلى أنّ الطفل يشكل شخصيته اللغوية من خلال محاكاة الكبار، فهذا أدعى لأن نحرص على مراقبة كلامنا، والتأكّد من سلامته وموافقته للآداب العامّة والأعراف اللغويّة، خصوصا في أوقات الغضب أو الانفعال، لأنّنا قد نتفوّه بما سيكون خرابا على ألسنة الأبناء والبنات.

من السذاجة والسطحية الاعتقاد أنّ اللغة وسيلة وأداة تواصل فحسب؛ فالحقيقة أنّها أوسع وأشمل من أن تكون للتحادث مع الغير فقط.. فاللغة تعني الحياة، وكلّ لغة هي نمط حياة وأسلوب عيش وخزان للفكر والإبداع.

الحصالة اللغوية للطفل هي خزّان ثقافي مهمّ ينبغي التشجيع على إثرائه وانتقاء القيم الثمينة التي تدعمه، وهذا من خلال مراقبة الخطاب اللغوي الذي يصل إلى سمعه، ومن خلال حثّهِ على أن يتحدّث ويبدع في هذا الحديث، وإفساح الفرصة له لكي يتعلّم من خلال النوافذ والفضاءات التي يثري بها لغته؛ كمشاهدة الرسوم المتحركة أو المطالعة أو الاستماع إلينا ونحن نقرأ له قصة قبل أن ينام.. ويرقى هذا التشجيع والتحفيز فيما بعد، ليصل إلى مستوى إغرائه وتثمين نشاطه في القراءة والمطالعة، وتنمية ثقته في نفسه، وهذا ما نسميه الجرأة الأدبيّة، وهذه مسؤوليات الأسرة والروضة والمدرسة والإعلام والشارع...إلخ.

إنّ حصالة الطفل اللغوية لا تشمل عملة واحدة هي الكلمات أو الألفاظ، بل تشمل كلّ جزئيات وأدوات اللغة، وهذا يعني أنها ثريّة وغنيّة تضمّ نتائج المراقبة والمحاكاة والنقد السمعي الذي يقوم به الأطفال في مجتمعهم، لذا فإنهم يختلفون في:

1. الثراء اللغوي، أي عدد الألفاظ والكلمات.

2. القدرة على فهم مدلولات اللغة، ونعني بها الفرق بين طفل وآخر في فهم وترجمة ما يسمعه أو يقرؤه.

3. الطلاقة[3] وسلامة التعبير، إذ ليس كلّ الأطفال يعبرون عن حاجاتهم مهما كانت بطريقة واحدة وبالمستوى ذاته من السلاسة والسلامة والبلاغة، فهناك من يُوفّق بأقلّ عدد من الكلمات، في حين يعجز بعضهم عن الإبانة ولو تحدّث لوقت طويل.

4.الإبداع اللغوي، فالطفل يبدع في الكشف عن أفكاره وخصوصا بعد سن الخامسة، لذا فإنّ فروقا كثيرة نلاحظها بين الأطفال في التعبير عن معنى معين أو فكرة ما، وهذا أمرٌ نتبيّنه بوضوح في المدرسة، إذ لو طلبنا من تلاميذ الفصل الواحد أن يصفوا لنا مشهدا فإنّ الفروق ستكون كبيرة، تبعا لعوامل ومعطيات كثيرة نسميها الفروق الفرديّة، وهي الألوان الإبداعية التي تميّز تعبيرا عن آخر.

• الواجب والمحظور في التربية اللغوية

لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أنّ التركيز في تعليم اللغة على نمط تعبيري أو بنية معيّنة يتحوّل إلى ظاهرةٍ معيبةٍ بعد أن يصبح تقليدا لغويًّا لا يمكن تجاوزه، ولا بأس هنا أن نتوقّف قليلا للإشارة إلى هذه الظاهرة اللغوية.

شكا إلى عديد أساتذة اللغة العربيّة مشكلة لغوية تتكرّر في تعابير ومواضيع الإنشاء التي يكلّفون بها تلاميذهم، وهذه «الظاهرة» (التي لا ترقى إلى أن تكون مشكلة) هي تكرار عبارة «في يوم من الأيام» بداية كلّ موضوع مهما كانت طبيعته، لأنّ الغالب توظيف هذه العبارة في الفقرات أو النصوص القصصية ذات الطابع السردي. ولم أكن أحتاج إلى بحث في الموضوع لأنني عشت هذه الظاهرة خلال ثلاثة عقود من الزمن، والمتسبّب الأوّل فيها -عن حسن نيّة- هو المعلّم الذي يضع اللبنة الأولى ليشرّع «تلاميذه» في التعبير والإبداع، وهذا أمر أساسي يقتضي أن يضع أقدام تلاميذه على أوّل الطريق ليفتح لهم مسار وشهيّة الكتابة، وغالبا ما يكون سؤال التلميذ: «كيف أبدأ يا أستاذ؟»، «أنا لا أعرف كيف أعبّر؟!».. وغيرها من العبارات. وفي هذه الحالة يأخذ الطفل البريء هذا التوجيه على أنه قاعدة، ويتحوّل إلى تقليد



لا يمكن للطفل الصغير أن يتخلّص منه. وفي غياب التوجيه أو الإرشاد تظلّ هذه الظاهرة التعبيريّة متداولة إلى أن يصل التلميذ إلى مرحلة التعليم المتوسّط وهو مسلّح بهذه الآلية التعبيريّة، وحينها يصطدم بملاحظات أستاذه الذي قد تعوزه الآلية لتصحيح هذا الانحراف تصحيحا تربويا سليما، فتحدث مشكلة بأتم معنى الكلمة وهي عزوف التلميذ عن التعبير!! لأنّ الأستاذ جرّده من مفتاح التعبير -في يوم من الأيّام- وهو سلاحه الذي اكتسبه من معلّمه..!!

وفي مجال بناء اللغة وإثراء الحصالة اللغوية، ينبغي أن نساعد الطفل على تصفية الكلمات والمفردات الأجنبية ليتجنَّبها، لأنّ جناية هذه المفردات على لغتنا العربية كبيرة، وتكاد تكون سارية ومنتشرة في مختلف المناطق من البلاد العربية. ففي الخليج نسمع كلمات: وايد (Wide)، ولوكس (Lux)، وفول (Full)، وأوكي (Ok)، وصوري (Sorry)،... وغيرها كثير، وهي مفردات إنجليزية. كما نسمع في مصر: نمرة (Num-ber)، وستاد (Stadium)، والبوك (Book)، وسبورت (Sport)، وقول (Goal)، وغيرها من الكلمات. كما نسمع في الجزائر وتونس: أوبيتال (Hopital)، لابروميارفوا (La Première Fois)، دوماج (Domage)، تري لوان (Très Loin)، وكل هذه الألفاظ الأجنبية الغريبة وغيرها كثير تتربع على ألسنتنا وتأخذ مكان الألفاظ العربيّة، وهذا يعني أنّنا مطالبون بتوجيه أبنائنا إلى ضرورة الابتعاد عن استعمال هذه الكلمات التي تجسّد تبعيتنا اللغوية للغرب، وبإيصال فكرة اللغة القوميّة والعقديّة لأبنائنا ليفهموها ويتمسّكوا بها.

هنالك شيء مهمّ لا ينبغي التغافل عنه أو إهماله، وهو أنّ المراقبة اللغوية والإشراف على تكوّن ونشأة شخصية طفلنا اللغوية لا ترتبط برصدنا للكلمات التي تعلمها أو التي لا ينبغي أن يتفوّه بها، وإنّما ينبغي أن ترتبط بعضوية الطفل المرتبطة بلغته، وهي مسؤولية الوالدين في السنوات الأولى، ثم مسؤولية المعلّم الذي يجدر به أن ينبّه أولياء الأمور إذا ما كان أبناؤهم يعانون من عوائق تؤثّرُ على قدرتهم اللغوية، وإذا لاحظ خللا في النطق فقد يتدخّل الأطباء لمراجعة الموقف وتداركه.

إنّ الملاحظة والدراسات القليلة المتوفّرة تشير إلى أنّ الطفل الجزائري يتمتّع بقدرة معتبرة في مجال تعلّم اللغة، وهذا ما تكشف عنه المستويات اللغوية في المجال الدراسي، وإن كانت



المناهج اللغوية في حقيقة الأمر تعاني من قصور وعجز عن مواكبة حاجيات المتعلّم اللغوية، وهذا لا يتعارض مع واقع لا يستجيب لهذه الحاجيات. ومن أهم التحديات والمثبطات التي تشكّل عرقلة لمسار اللغة العربيّة، غياب سياسة لغويّة واضحة، وتقاعس أطراف مباشرة عن الاضطلاع بمهامها في هذا الشأن، وهذا ما يشكل عبئا على الطفل والمدرسة في آن واحد. وسنتعرّض لهذا بالتفصيل في مجاله ومكانه.

إنّ الطفل الجزائري يمتلك مهارات لغويّة عالية تقتضي منا أن نكون في مستوى الاحتياجات التي يتوجّب علينا توفيرها ضمن مقاربة تعليمية هادفة ترتبط بهويتنا وانتمائنا.

• خلاصة

وختاما، لا بأس أن نذكّر الجميع بأن تربية أطفالنا الجزائريين لغويا لا تعني أن نتعامل معهم كبراميل نحشوها بالألفاظ والقواعد والغريب من البنيات، وإنما تعني أن نمكّنهم من التواصل بلغة سليمة بسيطة مهذّبة ترقى مع أعمارهم وتستجيب لحاجات التعلّم، ويشترط في هذه اللغة أن تنمي في نفوسهم مشاعر النبل والإبداع والقيم الإنسانية. كما تعني أن نحافظ على خصوصيتنا الجزائرية في لغتنا العربيّة، وأن تكون هذه اللغة وجدانا وضميرا.. نغضب لغضبها ونحزن لأساها، وتكون حياتنا.. ولا أعتقد أن ذلك ممكن التحقّق إلا إذا صيغت برامج منظومتنا اللغوية على أسس وقواعد متينة وصحيحة ضمن مقاربات مدروسة بعيدة عن الارتجال والشذوذ والعصبية. [اهـ].

---

1) تضمّ المهارات التعبيرية (الفنيّة الإبداعية) من نحو وصرف ومفردات ورواية، والتعبير عن الحاجات والمشاعر وتبادل المعلومات. فضلا عن المهارات الاستيعابية، مثل اتباع الأوامر اللفظية (مع سلامة القدرة السمعية)، وفهم اللغة المحكية (الشفهية) أو المقروءة أو المكتوبة. ويشمل ذلك أيضاً فهم لغة الجسد والإشارة وتعابير الوجه والمعاني المبطنة والنُكت والمجاز وغيرها.

2) في طرفة نادرة استرعت انتباهي، أذكر أنّني سمعت طفلا في المستشفى يستغيث بينما كان الطبيب يختنه، فيقول: «النّجدة أغيثوني»!! وكان يكرّر النداء وهو يبكي بكاء حارًا، بينما كان غيره من الأطفال يشتم ويسبّ، وكان كلّ منهم يخرج من حصالته اللغوية ما جمعه من مفردات.. فكان أن همس صديق في أذني: «أبشر يا أستاذ، هذه نسخة جديدة من المعرّبين»!

3) الطلاقة: عامل للتواصل الشفهي، وهو ما يحتاجه ويعتمد عليه المستمع في فهم الرسالة الصوتية التي يسمعها، وينبغي أن تكون السرعة في الكلام مناسبة. ومشاكل الطلاقة تشمل السرعة البطيئة أو المتقطعة مثل التأتأة أو السرعة الزائدة.

لساننــــا ورطانتهـــم[1]

أبو عبد الرحمن الجباري

قال ابن السبكي في «جمع الجوامع في علم الأصول» : «من الألطاف الإلهية حدوث الموضوعات اللغوية».

وذلك أن الإنسان حيوان مدني لا يستقل بنفسه في تحقيق جميع مآرب الحياة، حيث إن الكثير مما يُحتاج إليه في عيشته لا يتأتى إلا من عمل غيره. لذا كان لزاما عليه التواصل مع هذا الغير لتحصيل تلك المآرب، فيسر الله تعالى له ذلك بما علمه من البيان باللسان.

وقد مضت سنة الله في خلقه أن يتفاضلوا كيما يتمايزوا ويتكاملوا، كتفاضل الناس في الخلقة والخُلق، وتفاضل الأمكنة في الجهة والعمران، وتفاضل الأزمنة في الحدوث والحوادث. هذه السنة ماضية كذلك في لغات المتكلمين ما بين فصيحة وأعجمية، وبين معربة ومبنية، وبين أصيلة وهجينة. وعليه فإننا نعرض فيما يلي كلمة مختصرة عن سمات اللسان العربي بالمقارنة مع اللغة الفرنسية التي تمثل إحدى أرقى اللغات المنحدرة من اللغة اللاتينية.

ومناسبة هذه الكلمة محاولة صد الهجمة التترية التي يشنها أعداء اللغة العربية من «المستغربين العرب» العاقين للغتهم الأم، الآبقين عن لغة القرآن إلى رق رطانة الأعاجم. بل إن

متطرفيهم يسعون إلى اعتماد الهذرة الدارجة الهجينة، فلا هم يُحَصِّلون لغة أسيادهم ولا هم يحفظون لغة أجدادهم: مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

نقول لأهل الصلاة من أولئك: إن الذي حكم بأنه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾[الأحزاب: من الآية 36]، هو الذي قضى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2] ، و﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف: 3]. فإما أنكم لا تعقلون وإما أنكم لا تؤمنون.

فإن كانت الأولى فأجيبونا: كيف لا نرضى للشؤون الإدارية والعلمية والأدبية في دنيانا من اللغة ما رضيه الله لنا في ديننا ؟

وإن كانت الأخرى فنقول:

هل غركم القائل بأن لغة العجم أشدها للمبنى اختصارا وللمعنى انتصارا بما تتميز به من الإضافات السابقة (préfixes) واللاحقة (suffixes) للكلمة ؟

اعلموا أن أدباء «الفرنسيس» لن يستطيعوا أن يترجموا لنا أول كلمة من قوله تعالى ﴿ ...أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: آخر الآية 26] في ثلاث كلمات من فرنسيتهم، فضلا عن كلمة واحدة وإن اجتمعت إضافاتهم السابقة واللاحقة وكان بعضها لبعض ظهيرا. فهذه الكلمة ضمّت فعلا وفاعلا ومفعولين وجواب شرط واستفهاما ولعقولهم إفحاما إن حاولت لفصيحها استعجاما.

أم لعلكم تعنون بالإضافات ما يكون في مثل«sourire» للتعبير عن التبسم، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف هذه اللغة الأعجمية التي لا تملك لفظا خاصا «للتبسم» فاضطرت إلى تسميته «تحت الضحك». كما لجأت إلى نعت «الشعار» بكلمة «تحت الملبس» =sou-vêtement ووسمت «الطرفة» التي يُطرِف بها القادم من السفر أهلَه بلفظ «تحت القدوم» = souvenir.

أم هل غركم القائل بأن لغة الفرنجة أقرب إلى تحرير الفنون والعلوم من لغة «القانون»[2]؟

يعلم الجميع أن الرياضيات هي اللسان الناطق لجميع العلوم التجريبية، وأن الأرقام هي اللسان الناطق للرياضيات، ولكن ما يجهله الكثيرون أن هذه الأرقام عربية نسبا ومحتِدا. فهل يُعقل أنّ لغة أنجبت لسان العلوم ستعجز عن احتواء حفيدها الصغير؟ هذا الحفيد الذي أنجبته من رحم حساب مواقيت الصلوات وتحديد القبلة والطريق في البر والبحر بالظلال والنجوم، وقسمة التركات، ثم أرضعته حل المعادلات ورسم المنحنيات (للخوارزمي)، وحساب جيوب زوايا المثلثات (لنصير الدين الطوسي)، وإبداع كيمياء الطلاء والمتفجرات (لجابر ابن حيان) وقوانين البصريات (لابن الهيثم) والتشريح وتحضير الأدوية في البيمارستانات[3] (ابن سينا وابن النفيس)، وتحديد جغرافيا الأرض وحركية المجتمعات (الإدريسي وابن خلدون)... ثم لما فُطم الصغير أرادوا أن ينأوا به عن أمه الحَصَان الرَّزان (العربية) إلى أمهات عقيمات (الفرنسية، الإسبانية...)، كُنّ إلى عهد قريب لا يَكدن يَفقهن حديثا.

أم هل غرّكم من يدعي أن مفردات لغات العجم في تطور وازدياد ومواكبة لتجدد مفاهيم العلم والمخترعات، أما العربية فجامدة هامدة لا يُزاد فيها ولا يُنقص؟

فالجواب أن هذه دعوى حق، ذلك أن لغتكم فقيرة الكلمات ركيكة التراكيب لا تستطيع وصف ما يستجد من العلوم والآلات إلا أن يُزاد في معاجمها ما يُزيل عُجمتها إلى حين، ثم ما تلبث أن تعجز من جديد فيُعاود أهلُها حشوها بكلمات لم يسمع بها أجدادكم الأوائل، وهكذا دواليك إلى أن تندرس اللغة الأولى لطغيان ما أضيف إليها من التراكيب والكلمات.

أما العربية فرصيدها الحافل بالكلمات والمعاني يُغنيها عن الاستزادة من غيرها إلا نادرا جدا. وحتى حين يزاد فيها شيء فإنه لا يخرج عن قواعدها الأصيلة، وبالمثال يتضح المقال:

إن سُئل أحدهم: ما اسم كرة الحديد المحشوة مواداً متفجرة والتي إن ألقيت من فوهة مدفع فاصطدمت بالأرض أحدثت انفجارا وتدميرا؟ فسيجيب أنها القنبلة، ولا



يكاد الناس يعرفون معنى آخر لكلمة «قنبلة» سوى ما ذكرنا، بل ويظنون أنها مستحدثة لم يعرفها العرب إلا منذ اختراع البارود، مع أن هذه الكلمة عتيقة أصيلة في لسان العرب وتعني «جماعة الناس أو الخيل -قيل بين الثلاثين والأربعين- الأشداء، ورجل قُنبل أي الغليظ الشديد». قال حسان بن ثابت ﷺ عنه:

وكُنّا مَتَى يَغْزُ النبيُّ قبيلَةً
نَصِلْ حافتيهِ بالقنا والقنابلِ

فاستُعير معنى القوة والشدة لجماعة الخيل وسرعتهم لوصف الكرة القوية التفجير بما فيها من جماعة حبات البارود وغيره التي تنبعث منها في سرعة وشدة، فلم نحتج إلى ابتداع كلمة جديدة كمثل «bombe»[4].

و نظير ذلك كلمة «الهاتف» التي يقصد بها عند العرب «من يُسمع صوته ولا يُرى شخصه»[5]، وكانوا أحيانا يقصدون به الجني الذي يُسمع كلامه دون أن يُرى فيقال عنه «هاتف من الجن». فانظر إلى مناسبة معنى هذه الكلمة لمسمى الجهاز الحديث الذي يستعمل في التخاطب بين الناس، في حين أن التسمية الأعجمية غير دقيقة تماما لأن «Téléphone» تعني «الصوت عن بعد»، إذ يستطيع اثنان من الناس أن يكلم أحدهما الآخر من بعيد برفع الصوت وكل منهما يرى صاحبه، فلا يوجد معنى غياب شخوص المتهاتفين إلا في اللفظة العربية. وصدق حافظ إبراهيم حين قال على لسان اللغة العربية:

وسِعتُ كتابَ الله لفظا وغاية
وما ضِقت عن آيٍ به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمُخترَعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي

و هنا قد يعترض أحد المستغربين قائلا: فكيف تسمون «Internet» بعربيتكم الأصيلة؟ فلا يوجد لفظ في معناها عند العرب الأوائل، ولا تقولوا بأن كلمة «إنترنت» ستفي بالغرض لأنها ليست سوى ترجمة صوتية لمصطلح «Internet». وهل تستطيعون إلى ترجمة «Technologie» سبيلا؟

فنقول: على الخبير سقطت، فليست تسمية المخترعات قاصرة على الاستعارة المعنوية فقط (كما قد مثلنا بكلمتي «القنبلة» و«الهاتف» آنفا)، بل هنالك سبيلان آخران في هذا الصدد، ألا وهما: الاشتقاق والنحت.

فأما كلمة «Technologie» فيقال لها «التَّقانَة» بالاشتقاق من «أتقن» أو «القِيانَة» بالاشتقاق من «قان» (يقال «قان الحديد» أي صنعه وسوّاه، و«القَينُ» بسكون الياء هو الحَدّاد، ثم أطلق على كل صانع[6])، كما يقال صان/صيانة ودان/ديانة.

أما عن «Internet» فسبيل ترجمتها النحتُ من كلمتي «الشبكة العنكبوتية» فنقول «الشنكبوتية» تماما كقولنا «البسملة» نحتا من «بسم الله» و«الحوقلة» نحتا من «لا حول ولا قوة إلا بالله» و«الحيعلة» نحتا من «حي على الصلاة»، وكلها معروف متداول عند العرب. بل إن الترجمة العربية لها ميزة الصرف مع مختلف الضمائر والأزمان، فنقول «شَنْكَبْتُ وأُشَنكِبُ» في حين أن العجم يقولون «je me connecte à internet» أو «je surfe sur internet» لأن الفرنسية لغة مبنية غير معربة (انظر التفصيل أدناه). وأما عن استثقال أذن السامع لهذه الكلمة فمرد ذلك إلى عدم التعود على استعمالها، وكذلك حال من لم يستعمل كلمة «الحيعلة» قط فإنه يستهجنها، مع أنها وردت عن عربي سليقي كعمر بن الخطاب ﷺ عنه[7] الذي يقول بلسان حاله للمستغربين المستهجنين للسان العربي:

ولست بنحوي يلوك لسانه
ولكني سليقيٌّ أقول فأُعرِبُ

وبعد أن يستنفد المستغرب ما في جعبته من الشبهات ضد لغة الضاد، فإنه يلجأ إلى أسلوب التهكم والاستهزاء جهلا منه بعواقب ذلك عليه -فينقلب السحر على الساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى- فيقول:

إن كانت اللغة العربية كما تصفونها من القوة والجمال، فلماذا تعاني الهجر في وقتنا الحاضر حتى من أهلها الذين هم من أكثر شعوب العالم تخلفا في مجالات العلوم والحضارة؟ هل –بأسلوب تقريري ماكر- لكونها صعبة التعلم لما فيها من قواعد النحو والصرف المعقدة؟ أم لكثرة مفرداتها ومعانيها التي لا يكاد يُلم ببعضها إلا القلة من الناس؟ أم لكونها جامدة عبر العصور لم تتطور أساليبها ولا رسم حروفها كما حدث مع اللغات «الحية»[8]؟

الجواب مُجملٌ ومفصّل، فنقول إجمالا:

إذا محَاسِنيَ اللاّتي أُدِلُّ بِهَا
كانَتْ ذُنُوبي فقُلْ لي كَيفَ أعتَذِرُ[9]



و أما التفصيل عن ما يتعلق بالإعراب وكثرة المفردات وثبات الخط العربي فإليكه:

عن الإعراب: إن الإعراب -الذي هو موضوع علم النحو- من أهم ما يميز اللغة العربية عن سائر اللغات الأخرى، لا سيما اللغات اللاتينية -كالفرنسية- التي هي لغات مبنية لا تحتمل ألفاظها الإعراب. فإن كان لكل كلمة مدلول في ذاتها -وهو ما يوجد في المعاجم مقابل كل كلمة من المعاني- فإنها تكتسب دلالة معنوية إضافية عند إعرابها ضمن سياق الكلام. فلنشرح الفرق بين مدلول الكلمة ودلالتها من خلال الجملة التالية:

الجملة(01): «محمدٌ منح خالدا كتابا» تترجم إلى «Mohamed a donné à Khaled un livre» .

المعنى واضح ومتطابق في الصيغة العربية وترجمتها بالفرنسية. لكنّ السياق العربي يحمل دلالة أخرى وهي أن المُخاطَب بهذا الكلام يعرف أن كتابا قد مُنح لخالد لكنه يجهل المانح إن كان والد خالد -مثلا- أو الأستاذ أو المكتبي أو بائع الكتب، فنقول «محمدٌ منح خالدا كتابا» بيانا لهوية المانح.

سيقول القائل: وكذلك الصيغة الفرنسية قد تحتمل نفس الدلالة، فنقول: لنفترض الآن أن المُخاطَب يعرف أن محمدا قد فعل أمرا لخالد بخصوص الكتاب، ولكنه لا يدري ما هذا الفعل إن كان قد أسلفه الكتاب -مثلا- أو باعه إياه أو ابتاعه منه، ففي هذه الحال لا يصلح أن نستعمل الجملة(01) بل نقول:

الجملة (02) «منح محمدٌ خالدا كتابا» مبتدئين بذكر الفعل لأن ما بعده معروف لدى المُتلقّي. فماذا عسى ترجمة الجملة(02) تكون بالفرنسية؟ لا توجد سوى الصيغ التالية:

Un livre a été donné à Khaled par Mohamed

Un livre a été donné par Mohammed à Khaled

Khaled a eu un livre de la part de Mohamed

و لا تشير أيٌّ من هذه الصيغ إلى دلالة بيان الفعل الذي أداه محمد تجاه خالد بخصوص الكتاب، بسبب أنه يستحيل أن يُبتدأ بفعل في اللغة الفرنسية إلا في صيغة الأمر «mode impératif». وعليه فإن اللغة الفرنسية تعجز عن ترجمة الجملة(02) مع الإبقاء على دلالتها السياقية. بل الأدهى من ذلك أن كل الصيغ الممكنة لهذه الجملة باللغة العربية لا تستدعي سوى تغيير لترتيب الكلمات، لأن كل كلمة عربية تحمل صفتها من فاعلية أو مفعولية أو إضافة بفضل إعرابها[10]، بينما تتغير كلمات الصيغة الفرنسية حذفا وزيادة وتركيبا كما هو مبين في الجدول أدناه، لأن كل كلمة فرنسية مبنية على نسق جامد لا يوحي بدورها في الجملة.

الجملة العربية	الدلالة السياقية	الترجمة الفرنسية
محمدٌ منح خالدا كتابا	يجهل المخاطَب المانح	Mohamed a donné à Khaled un livre
خالدا منح محمدٌ كتابا	يجهل المخاطَب الشخص الممنوح	Khaled a eu un livre de la part de Mohamed
كتابا منح خالدا محمدٌ	يجهل المخاطَب الشيء الممنوح	Un livre a été donné à Khaled par Mohamed
منح محمدٌ خالدا كتابا	يجهل المخاطَب الفعل ثم الفاعل	الترجمة متعذرة
منح خالدا محمدٌ كتابا	يجهل المخاطَب الفعل ثم المفعول	الترجمة متعذرة
محمدٌ خالدا منح كتابا	يجهل المخاطَب الفاعل ثم المفعول	الترجمة متعذرة
كتابا منح محمدٌ خالدا	يجهل المخاطَب الشيء الممنوح ثم الفعل	Un livre a été donné par Mohammed à Khaled

نظرا لعدم وجود الإعراب في الفرنسية فإن كل كلام عربي مبتدئ بفعل أو باسمين متوالين -فاعل ومفعول به مثلا- لا يمكن ترجمته إلى الفرنسية إلا إذا عُبّر عنه بكلمات كثيرة لتبيان الدلالة السياقية للكلام العربي.

- عن كثرة المفردات: لم أر للغنى عيبا سوى عند المستغربين -أذناب المستشرقين- حين يستنكرون على اللغة العربية سعتها في الألفاظ ! ما أشبه مقالتهم هاته بما قاله قوم سدوم للمؤمنين من آل لوط عليه السلام ﴿...أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرْيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [النمل: أخر الآية 56] !

إن كثرة المفردات في العربية تمنح المتكلم مجالا واسعا لاختيار الكلمات المناسبة لمقتضى حال المخاطَب، فيؤدي المعنى المراد في أقلّ الكلام وأدلّه. إضافة إلى أن الكلمات المترادفة الدالة على معنى واحد في الظاهر، تتباين فيما بينها لكون كلّ منها يحمل دلالة دقيقة تنحو بالمتكلم إلى أن يوظف لفظا بعينه دون غيره لتأدية الغرض البياني المقصود.

إن «السنة» و«العام» و«الحول» و«الحِجّة» تدل على معنى مشترك ألا وهو المدة الزمنية الموافقة لمرور اثني عشر شهرا، غير أن كلا منها ينطوي على دلالة معنوية ملائمة لسياق دون سياق.



فيستعمل لفظ «السنة» في حال الشدة والضيق، في حين أن لفظ «العام» يدل على الرخاء والخصب واليسر، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: 49-47] ، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴾ [العنكبوت: من الآية 14] ، إذ كابد نوح عليه السلام مشاق الدعوة إلى الله مدة 950 سنة ثم أهلك الله أعداءه بالطوفان، فعاش نوح عليه السلام بعد ذلك 50 عاما مع القلة المؤمنة الناجية في يسر وسلام.

أما «الحول» فيصح أن يكون من «التحول» فيقال حينئذ عند تبدل الحال بعد انقضاء مدته، أو من «الحيلولة» فيقال عند تعرض مانع يحول بين المرء وما يروم بلوغه. مثال الأول قوله تعالى ﴿ ۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ... ﴾ [البقرة: من الآية 233]، لأن انتهاء الرضاع يؤذن بدخول المولود مرحلة الفطام. ومثال الثاني قوله تعالى في عدة الأرملة ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ... ﴾ [البقرة: من الآية 240]، إذ إن مدة العدة تحول بين المرأة وبين أن تنكح زوجا آخر إلى أن تنقضي عدتها فيجوز لها إذاك أن تتزين للخُطاب.

أما لفظ «الحِجّة» فيدل على تمام الأشهر الاثني عشر للسنة من غير نقصان، ومنه قول لبيد رضي الله عنه في معلقته:

دِمَـــــــنٌ تَجَــــــرّم بـــعـــد عـــهـــد أنـيـســهـا
حِــجــجٌ خــلــون حــلالهــا وحــرامُــهــا

أي أن الأطلال قد مرت عليها سنوات بأشهرها الحُرم والحلال كاملة غير منقوصة.

و المُلاحظ أنه لم يأت ذكر «الحِجّة» في القرآن سوى مرة واحدة في سورة القصص في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ ﴾ [القصص: من الآية 27]، في مقام إحكام شرط عقد الزواج بين موسى عليه السلام وابنة الرجل الصالح من أهل مدين، فناسب استعمال هذا اللفظ في هذا الموضع لكون ضبط شروط التعاقد يكون عادة محلا للمشاحّة بين المتعاقدَين، فيحرص كل طرف على أن يستوفي شرطه كاملا، كما صنع وليّ الفتاة هنا إذ أكد لموسى عليه السلام على أن يرعى له الغنم ثماني سنين بتمامها.

نبئونا الآن كيف ستعبّر الفِرنسية -الفِرنجيّة- عن هذه المعاني الدقيقة «للسنة» و«العام» و«الحول» و«الحِجّة» بالترجمة اليتيمة «année» ؟

عن ثبات الرسم العربي: لا تكاد تجد لغة من اللغات المتكلم بها اليوم إلا وهنالك من يؤرخ لبدايتها مذ صارت إلى شكلها المنطوق والمكتوب المعروف، عدا اللغة العربية، فإنها ضاربة في عمق التاريخ. يقول مرجليوث الأستاذ بجامعه أوكسفورد : «اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنَّها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها كالإنكليزية والإسبانية، وهي تخالفهما بأن زمان حدوثهما معروف ولا يزيد عمرهما على قرون معدودة. أمَّ اللغة العربية فابتداؤها أقدم من كل تاريخ».

أما عن اللغة الفرنسية فيمكن أن نقول إنها لا تزال في مرحلة الحضانة مقارنة باللغة العربية الناضجة اليافعة، وليس هذا بالكلام الإنشائي المرسل، بل هو حقيقة لا مراء فيها كما يظهر مما يأتي.

إليكم نصا من أقدم النصوص التي كتبت بالفرنسية القديمة حين بدأت تتمايز عن اللغة اللاتينية. فهلمَوا يا أهل الاستغراب إلى قراءته وشرحه لنا، علما أن كل الحروف يجب أن تنطق:

(bons fut li secles al tens ancïenur
tut est müez, perdut ad sa colur:
amfant nus done ki seit a tun talent). (١١)

بعد أن عجزتم عن قراءتها قراءة صحيحة فضلا عن فهمها، دعونا نترجم لكم هذا النص الفرنسي إلى اللغة الفرنسية:

(Le monde fut bon au temps passé,
Tout a changé, a perdu sa couleur:
Donne-nous un enfant qui soit selon tes désirs).

في المقابل، هل يعجز طفل في المرحلة الابتدائية عن قراءة هذا النص العربي:

ولــــــــيـل كـمـوج الـبـحـر أرخـــى سـدولـهُ
عـلـــــــــيَّ بـــأنـــواع الهــمــــــــوم لـيـبـتـلي

ألا أيّهـــا اللّيـــــــلُ الـطّـويـلُ ألا انْجـلـي
بـصُـبْـحٍ ومـــا الإصْـــبـــاحَ مِـنـك بـأمـثَـلِ

علما أن صاحب هذين البيتين، هو الشاعر الجاهلي امرُؤ القيس، قد هلك قبل خمسة قرون من هلاك صاحب النص الفرنسي المذكور أعلاه الذي يعجز عن فهم نصِّهِ الفرنسيون أنفسهم !

قد يعترض أحدهم -يائسا-: إن النص الفرنسي الذي استشهدتم به مجتزأ من سياقه حيث إنكم تعمدتم اختيار أصعب فقراته لتتهموا الفرنسية بالتبدل والخَلَق عبر الزمن.

فنجيب: ما تقولون في نص كامل غير مبتور قد كتب بعد أربعة قرون بعد النص الأول؟ فإن استطاع جهابذتكم فك طلاسمه فالأمر كما تقولون، وإلا فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل:

(Roy sanz lettres comme un asne seroit
S'il ne sçavoit l'Escripture ou les loys,
Chacun de ly par tout se moqueroit;
Thiés doivent savoir, latin, françoys,
Pour miex garder leurs pas et leurs destrois
Et sagement à chascun raison rendre). (12)

وهاكم الترجمة الفرنسية للنص المكتوب بلغتكم الفرنسية:

(Un roi illettré serait comme un âne
s'il ne connaissait l'écriture ou les lois,
car partout chacun se moquerait de lui ;
les Allemands doivent connaître le latin et le français,
pour mieux conserver leurs droits et leur juridiction
et que chacun rende justice avec sagesse).

ثم يُعربد المستغرب ويُزبد وقد أُسقط في يده مما سبق ذكره، فيصيح قائلا: شعر امرئ القيس لن يقرأه أحد لو كتب بالخط العربي القديم من غير تنقيط ولا تشكيل، فالتغير في رسم الكلمات ليس حكرا على الفرنسية كما تزعم!

إن التنقيط والتشكيل إنما أضيف ليميز الحروف عن بعضها فحسب، أما الكلمات نفسها فلم يصبها أدنى تغيير إذ بقي رسمها ثابتا عبر الزمن، بخلاف فرنسيتكم حيث إن الكلمات «lui ; roi ;temps ;désirs» كانت فيما مضى «ly ; roy ; tens ; talent» !! فأين هذا من ذاك؟

وأزيدك من الشعر بيتا: إن التنقيط والتشكيل قد أضيفا إلى الخط العربي في القرن الثامن للميلاد، بينما انتظر الفرنسيس العام 1762 (القرن الثامن عشر للميلاد) ليميزوا بين الحرفين «i ; j» والعام 1964 ليضيفوا الحرف «w» إلى الأبجدية الفرنسية!! وحتى في عصرنا الحاضر فقد تم في العام 1990 تغيير أزيد من 1500 كلمة في المعاجم الفرنسية!! فإن فرضنا جدلا أن التغيير قد شمل العربية والفرنسية معا، فيكفي العربية فخرا أنها سبقتكم إلى ذلك بألف عام.

• خلاصة

وفي الأخير، فإن العتب ليس على من تنكّر لأصله وشوه هويته من العرب المستغربين، ولا على من تحزب وتألب ضد العربية من الغربيين المستشرقين، وإنما العتب كله على أولئك المتفرجين المستسلمين لغزاة الفرنجة الذين يُغِيرون على حرمات تراثنا المجيد وتاريخنا التليد ثم ينقلبون إلى أهلهم سالمين فَكِهِين. «فوا عجبا من جِدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم ! فقبحا لكم حين صرتم غرضا يُرمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، وتُستباح بيضتكم وترضون». ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [اهـ].

---

1) بسند صحيح عن الفاروق ﷺ: «لا تعلموا رطانة الأعاجم» رواه ابن أبي شيبة (6/208).

2) «القانون» كتاب لابن سينا في الطب والذي ظل مرجعا لجامعات أوربا حتى القرن السادس عشر للميلاد.

3) البيمارستان: هو «المستشفى» بلغة الحاضر . وأول ما ظهر كان في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد.

4) bombus في اللاتينية تعني الصوت العالي.

5) عن لسان العرب (بتصرف).

6) عن لسان العرب.

7) صحيح مسلم، من حديث «فضل القول كما يقول المؤذن كلمة كلمة».

8) صدق وهو كذوب، فإن اللغات الأعجمية لغات حية بل «حيات» تحاول عبثا أن تنفث سمومها في لغة العرب وتراثهم المجيد.

9) عن البحتري من قصيدته التي مطلعها:

في الشَّيبِ زَجْرٌ لَهُ، لَوْ كانَ يَنزَجِرُ
وَواعِظٌ مِنهُ، لَوْلا أنّهُ حَجَرُ

10) قال ابن الحاجب في كافيته: الرفع علم الفاعلية، والنصب علم المفعولية، والخفض علم الإضافة.

11) مقتطع من «La vie de saint Alexis» (1040) Poème de.

12) Le poète Eustache Deschamps (1407).

أصداء نديّة من سيرة خير البريّة

دليلة مكسح

ما أحوج طالب المعرفة والمنظّر لها إلى نماذج يَقتدي بها في مسيرته المعرفية، وإلى خطط وإجراءات تمكّنه من سلوك طريق البحثِ والمعرفةِ سلوكا سليما، رغم العقبات والعثرات. وليس هناك أجلّ ولا أفضل من السيرة المحمدية، التي تتجلى فيها قيمٌ راقية وحِكَم جليلة يمكن التزود بها في رحلة الحياة، ومنها رحلة طلب العلم والمعرفة.

إن تقليب النظر في سيرة الرسول ﷺ، يكشف عن منافذ تقود إلى استنباط قيمة العلم، وأهميته، وكيفيات طلبه وتحصيله. والمتأمل في هذه المسألة يجد أن النبي الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم، بدأ مسيرته الدعوية وفق سلوك عرفاني خالص، هداه الله إليه، ويسر له من خلاله سُبلا تكفل له صقل شخصيته، ومنها القيام بمهمة النبوة، ونشر الدين الإسلامي، والتعريف به، وهي مهمة شاقة لا ريب؛ لكنها تتفتق عن مبادئ سامية، تثير في نفسية طالب المعرفة الحوافز التي تمكّنه من سلوك طريقه بنفس وثّابة، وروح متحمسة.

لقد بدأت مسيرة النبي محمد أوّلَ ما بدأتْ بالخلوة [1]، ولم تكن عزلته مدعاةً للنوم والكسل، بل كانت تجنبا للناس بغية التعبد، وفي سبيل التدبر والتأمل، والانقطاع للسؤال وتقليب الأمور، وهي خطوة مهمة، وعميقة الأثر في النفس والذهن؛ لأنها قادت خير البرية إلى ما فيه الصلاح، وتلك مَكْرُمَةٌ من الله العلي القدير، لم تتحقق للرسول إلا بشق النفس والتدبر حتى حصل اليقين، مما يكشف لنا -أيها القارئ الكريم- أن الحصول على المعرفة لا يكون إلا ببذل الجهد، والتأمل، والتدبر، وطرح الأسئلة، وتقليب الأمور من وجهات مختلفة، ويتطلب ذلك لحظات من العزلة، ولو كانت فترات؛ لأن بلوغ مرتبة اليقين يحتاج إلى صفاء الذهن، وهدوء النفس، ولا يتحقق ذلك إلا بالخلوة النافعة.

ثم إن الرسول الكريم بعد الانعزال المتكرر، جاءه اليقين من خلال إمداده بالوحي. وذلك الواردُ الذي جاء به جبريل عليه السلام، إنما تحقَّقَ بمعونة الله وتقديره وتدبيره. وعليه، فليعلمْ طالب العلم أن حصوله على اليقين، إنما هو في الأصل إمداد ومِنَّةٌ من الله سبحانه وتعالى، ولكنها منة لا تحصل للكسالى، بل للجادين والمثابرين الذين يبذلون قصارى جهودهم.

والحصول على اليقين بعد طول تدبر، وتأمل، وعزلة خدومةٍ للذهن والنفس، يحتاج إلى خطوة أخرى نستشفّها جليا من سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، وهي خطوة التريث قبل نشر ما حَصلَ عليه من اليقين الذي لم يُسبقْ إليه، وتقليب احتمالات إذاعته بين الناس والمهتمين، والنظر فيه بعمق، والاقتناع به قبل تحصيل إقناع الآخرين. فالرسول الكريم لم يُذِعْ أمر الوحي إلا لأقرب المقربين، وهي خديجة بنت خويلد زوجته رضي الله عنها وأرضاها[2]، ولم ينشر ذلك بين الناس إلا بعد إعداد العدة المناسبة ماديا ومعنويا.

لقد بدأ الذيوع في إطار ضيق، ليتسع بعد ذلك إلى ما شاء الله، وهي خطوات نيّرة ومهمة لمن أمده الله بمعرفة فيها الصلاح والفلاح، إذ عليه أن يشتغل على إقناع نفسه أولا بجدوى تلك المعرفة، والنظر في قيمتها بمشورة أقرب المقربين إليه، أو لمن يمكنهم أن يعينوه بخبرتهم وحكمتهم، ثم السعي إلى نشر أفكاره بين الناس من منطلق ضيق إلى آخر واسع.

إن قيمة البحث المعرفي لا تتحقق إلا بما ذكرناه آنفا، وعلى طالب العلم المواظبة على التزود من المعارف، وعدم الاكتفاء منها بالتلقين فقط، بل يعدّ نفسه لتحقيق الفاعلية، بإضافة الجديد إليها والنافع، عبر تدبر الواقع، وظروف العصر المعيش، وتكثيف عملية القراءة التي لا تعني تصفح كتاب فقط، وإنما تتجاوز ذلك إلى فعل التأمل، والتعمق في الظواهر بالسؤال والحوار، وبهذا يكون الطالب قد حقق أمر الله فيه حين قال في محكم تنزيله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ [العلق: 1-5]. فتتجلى فيه روح القراءة والعبادة معا. [اهـ]

---

1) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط3، 1403-1402هـ، 1981م، ص 95.

2) المرجع نفسه: ص 95، 96.



قــراءة بعيــون ذاهلــة

عبد الله لالي

..وأنا أقرأ ديوان «الساعر»[1] للأمير، استوقفني نصّ شعري «مربك» قرأته وأعدت القراءة.. ثمّ ضحكت.. ثمّ أشرقت كلمات بين جوانحي، فأحببت أن أسوّدها على الورق حتى لا يذهب شذاها.

في «سوق النّساء» حيث كان للشعر نصيب موفور، يقول المؤلّف: «وكان مما رآه الشاعر في السّوق شاعر فارسيّ يرطن بما كان عند العرب عيبَ عجمة.. حين كانت الضّاد قشيبةً مزهوّة»..

ومما قاله الشاعر الفارسيّ في عُجمته عربيّا وهو ليس بعربيّ:

الــرّمــل طــار لــقــعــر بــئــر في الــسّــما
والــنــوم نــــام، ومــيــت يــتــحــسّــنُ

والجــبــن في ضرع الــدّجــاجــة رائــب
والــصّــخــر في إبــريــق طــيــن لــيّنُ

والخــيــل أسرع .. أم رمــال عــواصــف
في الجــوّ أعــلى أم بــعــيــري أســمــنُ

والخــمــر صــحــو والــنــبــوّة عــقــدة
والــشــوك يــعــجــب، والــقــمــامة تــفــتــنُ[2]

وهنا وقف حمار الشيخ في العقبة، واستنجد بثلاث مدارس غربيّة صميمة من «سوق الحداثة الرّائج» ليفهم طلاسمها ويفكك شفراتها المستغلقة، فأسعفه ناقد حداثيّ كدّ ذهنه واستعان على الشرح والتوضيح «بالبنيويّة والتفكيكيّة والدادائيّة وحتّى ما بعد الحداثة».. ثمّ أخيرا أسعفته السّرياليّة ببعض مفاتيحها فقال:

«هذا النّصّ لا بدّ أن يُقرأ خارج مدلولات اللّغة ومعانيها الآنية القاصرة، لا بدّ من عمل مبضع الجرّاح، واستحضار السّياق والأنساق، واستنباط كلّ الدّلالات المنبثقة من اللاوعي وما يترتب عنه من بوح لامنطقي:

الــرّمــل طــار لــقــعــر بــئــر في الــسّــما
والــنــوم نــام، ومــيــت يــتــحــسّــنُ

حذلقة نقديّة :

عندنا هنا ثلاثة فضاءات مكانيّة :

- رمال طائرة (فضاء الجدب والمحول).
- بئر (فضاء مخزون المياه المحجوبة).
- السّما (فضاء الميتافيزيقيا المغيّب عن الإنسان).

وبغض النّظر عن الكاتب (الميّت في النّص)؛ فإنّ المتن المقروء وحده يفضي إلينا بكثير من البوح، والرؤى المغيّبة في فضاء المجهول..! إذا ضاق الفضاء المكاني (المنظور) لجأ الإنسان إلى الفضاء (المكاني) المغيّب!

قد يكون هذا ما أراد الكاتب قوله، وربّما أراد غيره، ومن ثَمّ فقد فتح نصّه على احتمالات كثيرة ومتنوّعة؛ الأمر الذي يبعث في القارئ الدّهشة والذّهول، ويُمكّنه من إنتاج نصّ موازٍ للنّص الأصلي، أو يكون مخالفا له تماما، ولا صلة له به.. المهمّ أنّ النّصّ تموقع حافزا على إنتاج نصّ جديد..!

وأيقظني من هذه الحذلقة النقديّة والغرق في «رمال» هذا الشعر الغائرة، جوابُ جهيزة (الغجريّة) التي قطعت تخرّصات كلّ ناقد (سفساف)، وجاء جوابُها مفحما حين مرّت في نسوة في «سوق النّساء» وسمعت هذيان هذا الشاعر الحداثي جدّا (على نهج أدونيس الجزائر[3])، فقالت بلسان الأمير:

مــــرّت نــــســـــاء.. قــهــقــهــت غــجــريّــة
قـــالـــت: «وشـــعـــرك مـــثـــل فـــكـــرك مـــنـــتـــنُ

وإذا تحــسّــن ســوف أحــلــق شــاربي
وأصــيــر أحــفــظ بــعــضــه وأدنــدنُ

هــذا هــو «الــشــعــر الجــمــيــل»، وأومــأت
لــقــصــيــدة مــن شــاعــر يــتــفــنّــنُ

وأشرق نور الشعر الخليلي لـ(يُهبّل) كلّ ناقد حداثيّ مدجج بأدوات النّقد (المفبرك) فقال:

خــطــرت بــبــالي فــجــأة عــيــنــاهــا
وأنــا الــذي حــاولــت أن أنــســاهــا

فشبّكت عشرا فوق رأسي معجبا
وصرخت: يا الله.. ما أحلاها

لو أنّها سيل خطير جارف
لرميت هذا القلب في مجراها

وانطلق حمار الشيخ يعدو مذللا كلّ العقبات.. والنّاقد الحداثي كأنّما كان ميّتا فبُعث، وراح يعدو خلف الشيخ ويقول:

لرميت هذا القلب في مجراها
..لرميت هذا القلب في مجراها

[اهـ].

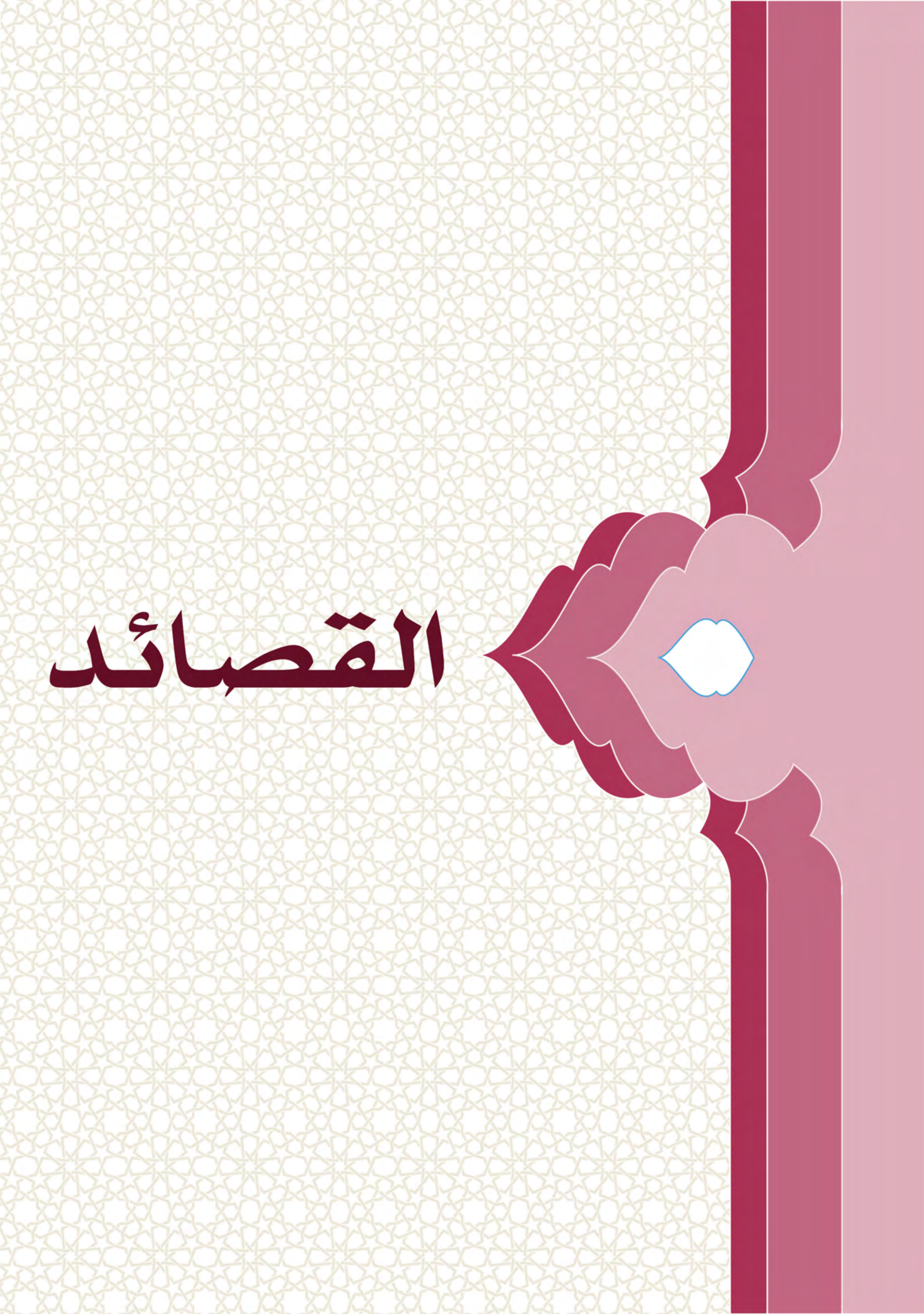
---

1) ديوان «الساعر» للأمير الأستاذ محمّد جربوعة، مطبعة «البدر السّاطع للطباعة والنّشر»، الطبعة الأولى 2014م.

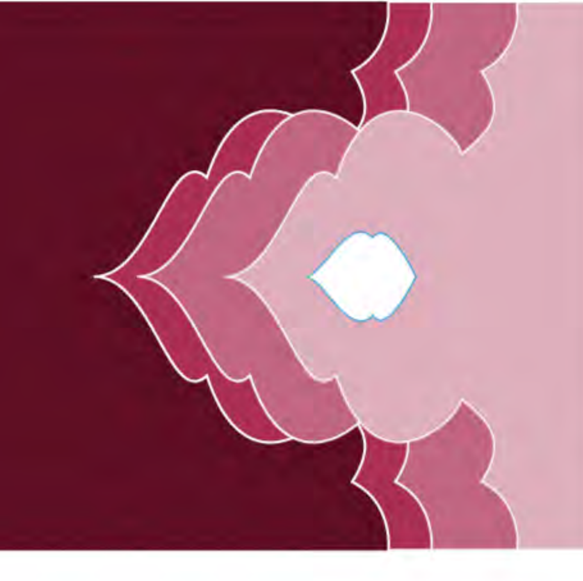
2) هذا النّموذج الشعري «المستغلق» دليل على قدرة شاعرنا -الأمير- الكبيرة على الإبداع الفنّي بأيّ شكل يريده، وها هو يعطي نموذجا لشعر الهذيان الذي ينفقون منه صباح مساء، ولو شاء لسوّد فيه مئات القصائد وعشرات الدّواوين، ولو فعل لاعتبروه مجدد العصر، وفاتح الفتوح.

3) أدونيس الجزائر هو كلّ شاعر تعبّد أصنام الحداثة واتّخذها مسوحا يسوّد بها بياض الورق، ويلوّث أذهان النشء بقيح وصديد حضارة تائهة لا تعلم لها وجهة، فيها كلّ يوم تجريب وتجريب..!





القصائد



القصائد

يا شهقة الضاد..

بقلم/ رِضَا بُورَابْعَة

فِي غَمْرَةِ الْبَلْوَى يَضِجُّ سُؤَالُ
مَا لِلْحُرُوفِ تَغُلُّهَا الْأَغْلَالُ؟

رَعْدُ النَّحِيبِ يَمُوجُ فِي الْآذَانِ يَا
مَطَرَ الشُّجُونِ.. وَ صَوْتُكَ الْمِهْطَالُ

مُتَوغِّلًا لِلْقَلْبِ يَقْتَحِمُ الْأَسَى
صَدْرَ السُّؤَالِ الْمُرِّ وَ هْوَ يُقَالُ

هَلَّا أَضَاءَ الْبَرْقُ وَحْشَةَ تِيهِهِ
فِي الذِّكْرَيَاتِ لِكَيْ يَشِفَّ الْحَالُ!

أَلَمٌ يُعَشِّشُ فِي الضُّلُوعِ.. وَ حُرْقَةٌ
تَرْوِي الْمَدَامِعَ.. وَ الْحَنِينُ عُضَالُ

يَا شَهْقَةَ الضَّادِ الْمَدِيدَةَ مَا الَّذِي
يَكْفِيكِ كَيْ تَتَمَدَّدَ الْآمَالُ؟

لَا تَمْكُثِي كَالضَّيْفِ فِي الذِّكْرَى وَ قَدْ
نَفِدَ الطَّعَامُ وَ سَاءَتِ الْأَحْوَالُ

وَ لْتَخْلَعِي عَنْكِ الشِّكَايَةَ.. إِنَّهَا
مِزَقٌ.. وَ لَيْسَ تَزِينُكِ الْأَسْمَالُ

عَيْنُ الْحَقِيقَةِ مِلْؤُهَا الْأَضْوَاءُ.. هَلْ
تُجْدِي السَّتَائِرُ وَ السَّنَا شَلَّالُ؟

لَا تَقْلَقِي.. شَمْسُ الْحَضَارَةِ لَوَّحَتْ
لَنْ يَحْجُبَ اسْتِهْلَالَهَا غِرْبَالُ!

مَازِلْتِ كَالشَّجَرِ الْأَصِيلِ مُطَاوِلًا
كِبْرَ السَّمَاءِ.. وَ لَنْ تَشِحَّ غِلَالُ

هَيَّا امْسَحِي عَنْكِ التَّحَسُّرَ وَ اذْرِفِي
فَرَحًا طَمُوحًا.. فَالطُّمُوحُ زُلَالُ

يَا ضَادُ يَا خَجَلَ الْمَسَاءِ.. وَ يَا صَدًى
لِلْكَوْنِ حِينَ يَصِيحُ فِيهِ جَمَالُ

كَمْ ذَا يَحِنُّ إِلَيْكَ أَهْلُكَ مِثْلَمَا
لِلذِّكْرَيَاتِ الْآنَ حَنَّ سُؤَالُ!

بين أمٍّ وولد

بقلم/ عادل حميد

رَقَدَ النَّجْمُ وَجَفْنِي مَا رَقَدْ
أَتُرَاهَا نَفَثَتْ لِي فِي الْعُقَدْ

كَيْفَ يُضْنِي فِي الثَّلَاثِينَ فَتًى
مِنْ عَجُوزٍ بِنْتِ سَبْعِينَ السَّهَدْ

يَتَمَنَّى أَنْ يَرَى شَيْبَتَهَا
وَيُمِرَّ الْكَفَّ فِي شَعْرٍ جَعِدْ

وَيَبُوسَ الْفَمَ وَالْخَدَّ عَلَى
مَلَإٍ غَيْرَ مُبَالٍ بِأَحَدْ

لَمْ يَزَلْ رَغْمَ التَّدَلِّي صَدْرُهَا
مَصْدَرَ السَّعْدِ وَيَنْبُوعَ الرَّغَدْ

كَمْ خَلَتْ بِي تُلْقِمُ الزُّبْدَ فَمِي
يَنْفَعُ الجِسْمَ وَيَحْلُو مِنْ زَبَدْ

خَبَّأَتْنِي عَنْ عُيُونٍ حُسَّدٍ
وَعُيُونُ الخَلْقِ آلَاتُ الحَسَدْ

كَمْ عَلَى تَعْتَعَةٍ لِي قَرَأَتْ
عُوذَةً مِنْ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ»

رَقَّصَتْنِي أَقْوَسَ الرِّجْلِ وَنَا
غَتْ وَغَنَّتْ مِنْ أَهَازِيجَ خُرُدْ

وَحْدَهَا فِي الكَوْنِ مَنْ تَبْسِمُ لِي
وَوَرَاءَ البَسْمِ حُزْنٌ وَكَبَدْ

وَحْدَهَا تُنْجِدُنِي إِنْ بَرَقَ الد
دَهْرُ لِي فِي يَوْمِ نَحْسٍ أَوْ رَعَدْ

كَمْ أَقَالَتْ عَثْرَتِي كَمْ أَسْنَدَتْـ
ـنِي إِلَى سَاعِدِهَا نِعْمَ السَّنَدْ

كَمْ لَهَا مِنْ نِعَمٍ لَيْسَتْ تُعَدْ
دُ وَهَلْ تُحْصَى نُجُومٌ بِعَدَدْ!

إِنْ تَقُلْ فَالقَوْلُ عِنْدِي قَوْلُهَا
أَوْ تُشِرْ فَالرَّأْيُ بِالشُّورَى انْعَقَدْ

لَبْوَةٌ أَمْسَتْ عَلَى أَشْبَالِهَا
مُشْبِلًا تِلْكَ وَرَبِّي لَأَسَدْ

قَمِنٌ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ لَهَا
وَحْدَهَا ضَاحِكَةً طُولَ الأَبَدْ

قَمِنٌ أَنْ تُجْمَعَ الأَنْجَامُ بَيْـ
ـنَ يَدَيْهَا مِثْلَ أَمْوَالِ لُبَدْ

أَطِعِ الشَّيْخَةَ فِيمَا أَمَرَتْـ
ـكَمْ حَدِيثٍ صَحَّ فِيهَا قَدْ وَرَدْ

كُلُّ حُبٍّ بَعْدَ حِينٍ فَاتِرٌ
غَيْرِ حُبٍّ بَيْنَ أُمٍّ وَوَلَدْ

الرحيل

بقلم/ بوعزة أنيم

لملم شتاتَك يا هيمانُ وامتشقِ
عُمقَ البراريَ والنسيان وانطلقِ

واتركْ بحارَ الهوى رهوًا لمن غرقوا
فلستُ أهوى بقاءً بعد منعتَقِ

أو أن أعانقَ طيفَ الحب في خلدِي
أو أن أصلّيَ في محرابه الخلقِ

ارحل بعيدًا بعيدًا عن خنا ولِهي
واطوِ القِفارَ لكي تنسى بها ودقِي

لا تحلمنْ أبدا فالحبُ مقبرةٌ
والشوقُ يدفن في تابوته رمقِي

لا تيأسنْ.. فهنا الأشواقُ كاذبةٌ
تجري ورَاها بلهفٍ كلٍّ مرتزقِ

هنا العواطف مثلُ الثلج باردةٌ
خرساءُ باهتةٌ ظلماءُ كالنفقِ

لا لونَ لا نبضَ لا آثارَ سنبلةٍ
سوى صفير رياح الصمتِ والقلقِ

ارحل فليست هنا الأيامُ ضاحكةً
وليس فيها سوى أوجاعِ محترقِ

فمي دم ومن الأيام علقمة
ومن شفاهي يئن الشعرُ بالنزق

كم كنت أحسبُ أني ريشة بيد
وأن حبر دواتي في شذى عبقي

وأن هندسة الأشكال أتقنها
فرُحتُ أرسم شكل الحب في ورقي

لكنها دمعات الحزن قد سبقت
إلى تلاشي ظلال الحلم من حدقي

فهل يجي زمن من غير ذاكرة
فأشهق الشوق من أرحام معتنقي

وهل أعود كما قد كنت نرجسة
لّماعة في جبين الروض كالعرق

وهل تعود طيوري بعد هجرتها
فألتقي بفراشي بعد مفترق

أهوى السقوط على استفهام أسئلة
تظل في شفتي تقتات من حنقي

فمي دم ومن الأيام علقمة
ومن شفاهي يئن الشعرُ بالنزق

إلى هنا العبراتُ الحُمْرُ توقفني
والشعر يهجرني في مَفرق الطرقِ

والحلم ما عاد حلمًا غير أرصفةٍ
تحكي سُدّى ألما يهذي به أرقي

هي السباحة في أوجاع ذاكرةٍ
لتعلن السمكاتُ الزُرْقُ عن غرقي

فمي دم ومن الآهات عاصفة
تثور لما يئن الشوقُ في عنقي

وليس يُلجمها شيءٌ و يكشفها
إلا الذي خلق الإنسان من علق

عِطر!

بقلم/ طارق خلف الله

لا تبحثي عن أي عطر فاخرِ
لا عطر أحلى من قصيدة شاعرِ

لا تلبسي في الجيد وهم قلادة
تكفيك أصدافي وسحر جواهرِي

لا تسكني مدن الغياب وحاولي
أن تحملي همي وهم دفاترِي

أن تفتحي كل الشبابيك التي
أغلقتها ...أن تختلي بخواطرِي

أن تسمعي دقات قلبي مرة
أن ترتمي في حضنه وتجاهرِي

أن تصبحي بين النساء أميرة
أن تفتحي مدني بكل تفاخرِ

وإذا سألنك عن جمالك غيرة
قولي لهن : أنا حبيبة شاعرِ

قصيدة لعينيها

بقلم/ إبراهيم بشوات

عَوَاصِفِي احْتَضِنِيهَا فَالْعَوَاطِفُ لَا
تَحْيَا إِذَا لَمْ يَثُرْ فِي الرُّوحِ إِعْصَارُ

إِنِّي سَأَكْتُبُ لَوْ طَاوَعْتِ سَيِّدَتِي
شَيْئًا لِعَيْنَيْكِ منْهُ تُولَدُ النَّارُ

حَرْفِي زُهُورٌ وَوَرْدٌ مِلْؤُهُ فَرَحٌ
نِقَاطُهُ مِنْ مِدَادِ الْبَوْحِ أَقْمَارُ

أَمَّا الْمَعَانِي فَغُوصِي تَحْتَ أَبْحُرِهَا
فَرُبَّمَا أَيْقَظَ الْمَخْفِيَّ إِبْحَارُ

وَهَذِهِ صَفْحَتِي كَوْنٌ يُغَازِلُنِي
لِتَسْتَفِيقَ فَرَاشَاتٌ وَأَزْهَارُ

أُلْقِي بُذُورَ قَصِيدِي غَيْرَ مُنْتَظِرٍ
غَيْثًا فَتُبْعَثُ مِنْ عَيْنَيْكِ أَنْهَارُ

فِي طَرْفَةِ الْعَيْنِ حَرُّ الشَّوْقِ حَاصَرَنِي
وَأَرْسَلَتْنِي إِلَى دُنْيَاكِ أَقْدَارُ

لَكِنَّنِي رَجُلٌ لَا صَبْرَ يَحْمِلُهُ
إِذَا تَمَادَيْتِ فِي التَّعْذِيبِ أَنْهَارُ

أَخْطُو كَأُولَى مَسَافَاتِ الْوَلِيدِ حَبَا
وَطَالَ فَوْقَ سُكُونِ الْأَرْضِ مِشْوَارُ

أُرِيدُ أَنْ يُفْصِحَ الْإِلْهَامُ عَنْ لُغَتِي
وَأَنْ تُفِيقَ مِنَ الضَّوْضَاءِ أَسْرَارُ

وَأَنْ تُلَامِسَ أَقْلَامِي ضِفَافَ دَمِي
حَتَّى تَبُوحَ بِلَوْنِ الْغَيْبِ أَخْبَارُ

فَإِنْ رَضِيتِ حَمِدْتُ اللهَ مُفْتَخِرًا
وَإِنْ غَضِبْتِ فَرَبُّ النَّاسِ غَفَّارُ

واحة الدفء

بقلم/ أحمد العماري

ذهبتْ بعقلي خَمْرةُ الأحْداقِ
و رَمَتْ فؤادي رمْيَةَ الفَوّاقِ

مِن أيْن جاءت لسْتُ أفهَم ما جَرى
كيف اسْتَفَزّتْ نائمَ الأشواقِ

مالي أكَبّل مَهْجتي في ورطةٍ
مِن ليْل ذات السبْسَبِ الرقراق

مُضَريةٌ ، عَرَبيةٌ ، قُرَشيّةٌ
قُدْسيةٌ ، شاميةُ الأعْراقِ

دُورِيُّ غابات الهوى غَنّى لها
في واحتي و شَدَا على أوْراقي

و رَمَى همُومَ الدهر عني جانباً
لمّا انْحَنَى فوقي و رام عِناقي

و مَحَا التمَاهي صورتي في وجهها
كَرْخيةٌ خُتِمَتْ لأجْل مَذاقي

في دِنِّها يَدْنُو فَنَائي طالباً
لَثْمَ الخلودِ بِرِعْشة المشتاق

و أعودُ في صَحْوي أفتّش عن دمي
فيها كطفلٍ سَيّءِ الأخلاق

تَقْسُو عليَّ و في الأخير تَضُمّني
كيلا يَضيعَ الطفلُ في أعماقي

و تَقول لي قُمْ للصلاة فرُبّما
طلع الصباحُ و أنت في أحْداقي

و اذكُرْ حبيبي أحمدَ المُختارَ في
ما يَعْتَريك إذا دخلْتَ نِطَاقي

فأنا أُدَاوي بالصلاة عليه ما
ألْقاهُ إنْ دارتْ كُؤوسُ الساقي

ذَرَفَتْ عُيُوني ما تَراهُ مُناسِباً
لِجَوابِها ، فالدمْعُ مِن أخلاقي

لاسيَّمَا إنْ هاجتِ الأشواقُ بي
نحْوَ الحبيبِ و ضَيَّقَتْ أطْواقي

مَسَحَتْ دُمُوعي بالدموع فأغرَقَتْ
سُفُني ، و إن السرَّ في الإغْراق

قد جَفّ حَلقي حينَها و الماءُ في
يَدِها ، كَكَنْزٍ في يَدِ الإمْلاقِ

لم أستَطعْ أن أستَقيمَ بِقامَتي
لم تستطعْ حملي هنالكَ ساقي

نادَى المُنَادي للصلاة ، و ليتني
لم أصْحُ مِن سُكْري على الإطلاق

قلتُ .. الصلاةُ على الحبيبِ و آلهِ
طِبّي إذا ما الجرْحُ شدَّ وَثاقي

....
....

فالحب ليس رسالةً ليليّةً
نامَتْ بِهاتفِ مُغْرمٍ مُشتاقِ

الحب مَسٌّ إنْ دُعِيتَ لِرُقْيَةٍ
مِنهُ ، فَقُل مالي و ما للراقي؟

أنا لا أزالُ مُنَعّماً فإذا انتهى
مَسّي فروحي آذَنَتْ بِفراقي

يا خيْرَ مقصودٍ و خيرَ مُؤمَّلٍ
ها قد حَطَطْتُ الرحْلَ دون رِفاقي

همْ عائدون لِدارِهِمْ و أنا هُنا
داري و أهلي ، فاحْمِني بِعِناقي



الكتاب

هو الخطاب الموجه إلى الأصدقاء
المجهولين على وجه الأرض...

المفكر/ مالك بن نبي

بوابة عمق؛ ومفتاح حقيقة!

منير سعدي

الرحم التي تولد منها الحضارة.

معمَّر عيساني

صديق رائع؛ لا تغيره الظروف.

سمير

المسكّن الهادئ لوجع الضجيج.

مصطفى زيَّاتين

بحر تغرف منه على قدر عقلك.

مصعب بلهادف

نافذة نحو الثقافات الأخرى.

نصيرة بورقعة

فاكهة الدنيا وزينتها، وخير ما نزل من السماء،
وما أبدعه أهل الأرض.

عادل حميد


القصة
والرواية

القصة والرواية



ابن الإنسانية

قصة (فصل 2/2) مصطفى بوالطين

على قارعة الطريق استوقفنا الكاهنة «ديهيا»، حيث تنتظرنا على جواد أسودَ فاحم. لقد كانت تعلم مسبقا أننا لن نسلُك طريقًا غيره. تَحومُ حولَنا، فأتخفّى استحياءً منها بعد أن أضعْتُ الأمانة التي خبّأتها عندي، تُقرِّب رأسي لتُسنِده على صدرها وتربت عليه راضية عن تمسُّكي بأمازيغيتي رغم الإضافات التي تَصنع انتمائي، تُقبِّل رأسي قبلةً دافئةً وهي تهمِس بأننا جميعًا أبناؤها، وأن اختلافنا هو الذي يَصنع إعجابَها بكل فردٍ منا وحُبّها له.

يَذكِّرُني «الأمير» بطولِ الطريق الذي ينتظرنا، فأُفارق «ديهيا» بصعوبة بعد عناقٍ حار. السماءُ بدأتْ تتلبّد، لتُبلِّل القطراتُ الأولى جَبيني، فأمسَحُها بيدِي فإذا هيَ بلونِ الدم ورائحته، يأتيني صوتُ الأمير مختلفًا هذه المرة كأنه ممزوجٌ بصَوت ثان، يشرحُ لي كيف أنّ هذه الدماءَ لا مفرَ منها في طريق نشر المعتقدات.. صوتُه نقيٌّ هذه المرة لكنه ليس كصوت الأمير، يلتفتُ فإذا بي خلفَ «عقبة بن نافع» وقد شدّ زمام الجواد عند وصولنا إلى بابِ الكوخ المنشود. يستقبلُنا ماسينيسا بحرارة، يَعقد لساني العناقُ المليء بالمشاعر بيْن الرجلين. يُدخلنا ماسينيسا وهو يُثرثر عن الصداقة القديمة التي جَمعَته بعقبة فأُقاطعه بأنهما لم يعيشا في نفس الزمن، فيضحك من سذاجتي ويُخبِرني أن الصداقةَ لا تَعترِف بالأزمان، وأنه مُمتن له تنويرَه الأمة وحريصٌ على استمرارِ صداقتهما حتى يستطيع الشعبُ العيشَ في ألفة وأخوة.

لا يَبدُو على الطبيب التعجبُ لما أقوله ولا الإعجابُ بالمكانةِ المرموقة التي حظِيت بها والمهمة النبيلة التي وُكّلت إلي، تركيزي على سرية المهمة جعله متحفظًا في الأسئلة المطروحة، أستعجِلُه لأن طبول الحرب قد قرعت ويجب علي أن أمنَع وقُوعها، أُحاوِل الخروج من عنده لكنه يَستحلِفُني أن أواصل إخبارَه بتفاصيل المهمة وخُروجِنا نحن الثلاثة من الكوخ للوقوف على الربوة كلٌّ على جواده بعدما التحَق بنا صلاح الدين الأيوبي، نُطِل على المعركة المحتدمة أسفل الربوة.. أهُمّ بالنزول، لكن صلاح الدين يَمنَعني.. أصيحُ في وجهه بأن المسلمين يُقتلون، فيردّ -وكأن الأمر لا يعنيه- بأن القاتلين أيضا مُسلمون، أما تدخّلُنا فلن يزيد شيئا سوى منسوب الدماءِ المسكوبة، ينطِق ماسينيسا وعقبة بصوتٍ واحدٍ أن هذا ما خَشِياه منذ زمن، خشيا تحوّل تنوع مجتمعنا إلى نقمة يتقاتل بها الإخوة فيما بينهم مُغمِضين الأعين عن العدو الحقيقي، أسألُهم عن هذا العدوّ الحقيقي الذي يتحدث عنه الجميع فيَدفعُني صلاح الدين نحو المنحدر صارخًا أن أبْحثَ عنه في خِضَم المعركة.. أن أُفرّق طعنَتَه عن الطعنات ودِماءه عن الدماء، لا أن أبقى متفرجًا مكتوف الأيدي. في نهاية المنحدر أقِف مغبَر الثياب والتراب يملأ فمي وسط معركةٍ حامية الوطيس.. تتطايَر الرؤوس أمامي، وتلطّخ الدماء وجهي، يَتعالَى صوت تشي غيفارا قادمًا من كل مكان مبتهجًا بثورة الضعفاء، يتلقى الصفعةَ تلو الأخرى على وجهه مفتخرًا بمشاطرته ألَمَ المظلوم، يقطعُ حديثَه صوتُ المهاتما غاندي الذي كان جالسًا وسط المعركة إلى جانبِ جان جاك روسو، جلستُ إلى جانبِهما غير

آبهين بما يجري حولنا، يهزُ المهاتما المُتقاتلين ويذكّرهم بأن التسامح صفة الأقوياء، قبل أن يَلتفت إليَّ ويَأمُرني أن أسأل إذا كنتُ أبحثُ عن أجوبة، أتساءل: لماذا يَجلسون دون حراك ولا يُشاركون الثوارَ ثورَتهم؟ يتعالى ضحِك جان جاك روسو حتى يَسقُط على ظهره وهو يُحاول الإجابة على سؤالي بكلماتٍ متقطعة أن هؤلاء يَجهَلون معنى هذه الحرية التي يبحثون عنها ويتمرّدون من أجلها دون تحَمُّل المسؤولية ودفعِ الثمن مسبقًا بنَزْعِ أغلال الاستعباد عن أعناقهم.. أجُول بنَظَري فأرى المتَقَاتلين قد غُلّت أعناقهم بسلاسل غليظة تَربِط كلّ واحدٍ منهم بالآخر، يُقاطِعه المهاتما وقد حزّت في نفسِه عشوائيةُ السهامِ المُصَوّبة نحو الفزّاعات المنتشرة في كل مكان، يقول إن الطاغية الحقيقي في داخلِ كلّ واحدٍ منا في أنانيّتِه وجَشَعِه، وما قد يكون ثورةً بالنسبة لأحدٍ يكون عبوديةً بالنسبة لآخر، أتساءل كيف لي أن أُميّز الحقيقة وسط كل هذا الدخان المُعتِم والموتِ العبثي، يَردُّ جان جاك روسو بصرامةٍ أنني أُختِرتُ لأنني أعرَفُ بالبحث في أدغال قلبي وجعلِه نفسَ القلبِ الذي يدُقّ في صدور الإنسانية كافة..

القبضةُ عنيفةٌ على عُنق ردائي تَجُرّني وسط الزغاريد

ماسينيسا

والصّياح نحو نارٍ متقدةٍ تكادُ تبلُغ الأفق، أُرمى داخلَها ككومَة قش فإذا سيدنا إبراهيم يُقاسِمني النار التي لا تَبلُغنا، بل تلْفَحُنا بردًا وسلامًا، أتأمل وجهه المجعّد وشيب شعره، يَفهَم ما يَدور في رأسي فيُذكّرني بأن الفرَج يأتي من الله ولو في أرذَل العمر، كل ما علينا فِعلُه هو التوكّل عليه والخضوع لأمرِه، يَبلُغني صوتُ غيفارا متسللًا بين الضوضاء أن أُثبُت إنّك تحترق لتُنير طريقَ الآخرين، يُدنِيني سيدنا إبراهيم إليه يقول إن الإنسان حاضِرُه فقط لا المستقبلُ الذي في حُكم الله ولا الماضي المليء بالأخطاء، أذكُر أنّ أباه كان يُسيء مُعاملَتَه هو الآخر فيُجيبني كأنّه يقرأُ أفكاري، بأنّه سامَحَ أباه كما تسامَحَ مع ماضيه..

يَأتِيني صوت الطبيب يُخرجني من سلسلة أساطيري يَسألني إذا كُنت لا أزال مُصرًا على فكرةِ عودة أبي بعد الموتِ فأُفضِّل الصّمت، أعرِف أنه يُشكِّك في كلّ ما أقوله، أحدِّق إليه بنظراتٍ ثاقبة لا يَظهَر تأثيرُها عليه، وجهُهُ الواجمُ يَزيدُ ثِقل الصّمت على صدري، أُقاوم رغبة الكلام لكنّ لساني يَخُونني فأُواصِل قصة ما تنتظره الإنسانية منّي أنا المخلِّص المنتظر كأنّه لم يطرَح أي سؤال، أُواصِل قصّة يَدِ فريدريك نيتشه الممدودة إليَّ خلال اللهب يسحَبُني من بَينِه ويركُض بي خشية أن يَبلُغَني الموتُ المتربص بنا في كل زاوية، يوصيني لاهثًا أن أَركُن إلى الأديان وأنبيائها لا إلى رجال الدين، أنْ أبحثَ عن الحقيقة في عقلي لا أن أتلقّاها على منابر المساجد وجُدران الكنائس، يُفلِت يدي عندما يقِفُ بوذا في طريقنا ويتلاشى كأنّه لم يكن، يُهوّن بوذا من روعي فالبحثُ عن الحقيقة هي مهمّتنا في الوجود ولنَا العمر كلّه للعثور عليها، لَكنّني لن أجِدَها طالما لم أترفّع عن وديان القتال حيث تَوافِهُ البشر وصعاليكهم، لم يُطِل بوذا الكلام قال إنه يُفضّل الصمت وإنني أَملِك داخلي كل ما أبحثُ عنه وما أحتاجُه لإتمام مُهِمتي، أسأَلُه وقد ابتعد عني عمّا علَيّ فِعلُه الآن، فيأمُرُني أن أتوقّف عن طرحِ الأسئلة لأبدأَ في العمل، أقِفُ على الهضبةِ مُتأملًا الفراغَ المُمتدّ على السهل اللامتناهي تحتِي، صمتٌ رهيبٌ يملأ الأفق، على الهضبةِ المقابلةِ يَبدو طيفُ رَجُلٍ جالسٍ أركُض نحوَه لكنه يَبدو في كلّ مرة أبْعَد، أُسارِع الخُطى فأتبيّن وجهَ سقراط، أكاد أصِلُ إليه فيُشير بيده أن أتوقَف مكاني، وبسبّابته إلى رأسِهِ يدُقُّها عليه أن أستعمِل عقلي قبل الإقدام على أيّ عملٍ، ثم يفتحُ ذراعيه يَبسطُهما إلى الفراغ أن أتأملَ في

الطبيعة، ويُمسِك قبضتَه يُربّت بها على صدرِه أن انظُر بعينِ قلبِك ليَفتَح سبّابته ويُشيرَ بها إلى السماء، يُناديني توماس إديسون الذي كان جالسًا على حافّة الهضبة هو الآخر إلى جانِبِ كلٍ من إسحاق نيوتن وليوناردو دافنشي، يُواسيني أن لا أَبتئِسَ لعدم حديثه إليّ فثلاثتُهم هنا منذُ قرون ينتظِرون كلمةً منه، لكنهم لم يتوقفوا عن البحث عن المعرفة، بَقَوا مُتعطّشين لها ومُستمتِعين بالطريق إليها، قاطَعه دافنشي أنه لولا اتّبَاع الحدس ما وصل أحدٌ منهم إلى هذا المكان وما جَلسُوا يُعمِلون خيالهم ويُشفون فُضولهم عن الطبيعة..

بَدأ المنظرُ في الأسفل يتغيّر.. أَخذَتْ جِدارية في التكوّن على بعد أمتار من الحافة، أَعرِفُ هذه اللوحة فَأنَا راسِمُها، أخذَ دافنشي يمدحُ لوحة «أبناء السماء» التي رسمتُها ودَورَها في إرساء التسامحُ بين الأديان، أَتساءل كيف للوحة أن تَقْضي على كل هذا القتْل باسمِ السماء وتنزَعَ العنصرية عن قلوب البشرية وتُفَهّمَهم أن الاختلاف رحمة، فيُحذّرُني من إحباط النّفس والتقليل من دَوْرِنا نحو الإنسانية إذا كنتُ مؤمنا بتحقيق مهمّتي، يجِب أن أتحلّى بالثقة العمياء التي تحلّى بها الأنبياءُ حتى أوصَلُوا رسالَة السماء إلى البشر. أنهضُ من مكاني قبل أن أتذكّر أن نيوتن لم يَتكلّم، أطلُب منه أن يُمدّني بشيءٍ قبل أن أُغادر، فيُجيب في الحين كأنّ إجابتَهُ كانت تَنتظِر على لِسانه أن كل فعلٍ أقومُ به سيكونُ له ردة فِعل، فلا أبتئسَ لغيابِ النتائجِ اللحظية، ليُضِيف وقد ابتعدتُ أن لا أنسى أن للضوءِ الأبيضِ سبعة ألوانٍ في الحقيقة..

أُريد أن أكمِل طريقي تاركًا الثلاثة خلْفي فأصطدمُ برجلٍ أرفعُ رأسي فأجِد سيّدنا المسيح بوجهِه المضيء وشَعْرِه الطويل يَضُمُّني إليه بابتسامة أبويّة.. أشكو إليه تعبِي وقلّة حيلَتي وضياعي عن الطريق فيمْسَحُ على رأسي ويذكّرني أنه وُلِد بلا أبٍ، لكن البشرية كلّها اتبعتْهُ ويُشجّعُني بأنه يرى نَفسَه هو الآخر قليلَ الحكمةِ والمعرفةِ بحلّ مشاكل البشرية، أرشَدني للبحث في كوخٍ بعيد عن النّبي محمد، على بابِ الكوخ خَرجَ عمر بن الخطاب يُغالِب الدموعَ لوفاةِ الرسول، لكنّه متفائلٌ بأننا سنحيي سنّته وننشرُها في العالم، أنهارُ أمامَه كخيمة متهالِكة، أبكي بحُرقة على ضياعِ أمَلِي في لقاءِ الحبيب والبكاء على قدميه الشريفتَين وإبلاغِه كيف أرهقَنَا هذا الزمن وكيف أضعْنا الطريق وأضعنَا أنفُسنا، يَحملُني عمر وهو يردّد أن لا وقتَ للبكاء على الأطلال، ويأمُرني أن أذهبَ إلى سيدنا نوح الذي أوشكَ على الانتهاء من صُنع سفينتِه، أسألُه عما يجب أن أفعل للنجاةِ بالبشرية فيُجيبني دون أن يرفَع رأسه بأن الطوفان قادم ولن يَنتظِر إيجادَك للطريقةِ المُثلى، المُهم أن تُقنعهُم بالركوب وأن لا تأْبهَ بآراء المستهزئين. صوتُ خريرِ المياه يصمّ الآذان قادمًا نحونا بكل سرعة، نركبُ السفينة هربًا من الأمواج الضخمة تقذفُنا في كل اتجاه، إلى أن رسَتْ بنا على أبواب الجنة وآدم وحواء خارجَان منها يجرّان أذيالَ الخطيئة.. أُحاول أن ألقي نظرة على الداخل لكنّ ساقيَّ لا يحمِلانني، أفقِد الإحساس بهما يَنسَابان على الأرض، أنظر إليهما فإذا بهما صارَا من طِين، أرفعُ ذراعي يتقاطرَان طينًا أندمجُ مع الأرض والأُفق يملؤه صوت يؤذّن {إنما المؤمنونَ إخوة}؛ {وخلقناكُم شعوبا وقبائل لتَعارفوا}.. أحسّ بالبللِ يغطّي جسدي بأكمله والغضب يَعمُر قلبي لفشَلي في إخراج البشرية من النفق المظلم، أرفعُ رأسي فإذا أبِي قد دخلَ مكتب الطبيبِ وقبضَ على رقبة أمي يُريد قتلها مرة أخرى، تصرُخ في وجهه لكنه لا يتوقّف عن الضغط، أحاول نجدتَها لكنني عالقٌ في الوحل يُخرجُني منه وخز الإبرة في رقبتي، أعودُ إلى وَعيي فأجدُني قابضًا رقبةَ أمي وهي تتوسّل إليّ باكية ألا أقتلَها كما قتلتُ أبي.. تَرتخي أصابعي ثم يَرتخي كل جزءٍ من جسدي، أرتطم بالأرض وأمامي الطبيب حاملاً الحقنة.. جسدي لا وزنَ له، أُحسّني خفيفاً نقيًا كأنني أطيرُ إلى السّماء.. [اهـ].



في الأعماق

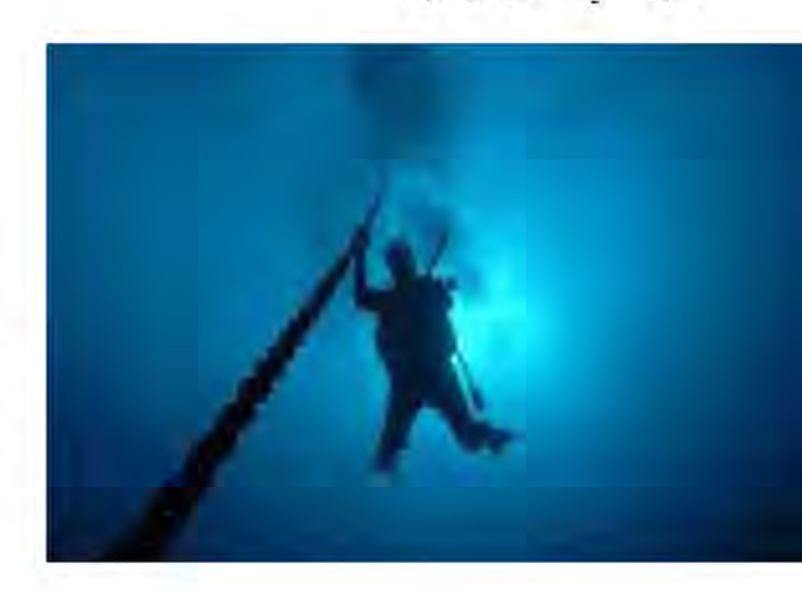
أقصوصة

عبد اللطيف ولد عبد

كان يستعد للغوص في أعماق هذا البحر الذي تلاطم موجه ودكن لونه. ألقى نظرة حالمة إلى السماء فألفاها زرقاء يتفرق على أديمها بقع من السحب المنتشرة كأنها نفثات سيجار. صباح خريفي مشمس ككل أيام هذا الأسبوع تقريبا، شاهد أمس نشرة الأحوال الجوية رفقة زوجته وولده صلاح الدين الذي حاول ارتقاء ظهره لاعتلاء منكبيه، وابنته خديجة في حضن أمها تمسك بقارورة الحليب، تمصها تارة وترمق

أخاها بعجب تارة أخرى.

جلس على حافة القارب المهتز بفعل المد و الجزر، حشر جسمه داخل بذلة مطاطية ولبس الزعانف في رجليه. يوم آخر من الغطس في أعماق هذا اليم، ولكن هذه المرة ستختلف ولن تكون كالأيام التي رجع فيها لا يحمل إلا النزر القليل من الغنيمة، لم يخبر زوجته عما عزم على فعله، وودع ولديه خلسة كي لا يثير ريبتها، احتضنهما بكامل قوته وحنانه حتى كاد يذرف الدموع لما تعلق به صلاح الدين وأمسك بحافة سرواله وأبى أن يتركه. خرج من بيته يجر خطواته نحو الشاطئ، مسوقا بقوة اليأس وغريزة البقاء أين ينتظره القدر هناك بوجه متجهم.. وعده الرجل صاحب القارب مقاسمة الربح بالنصف إن هو تمكن من بغيته هذا اليوم.. قبل العرض دون تردد، فلا خيار أمامه.. لديه عائلة تنتظر قوتها منذ أسبوع. و بعد تلك الزيارة غير المتوقعة للطبيب، وبعد الفحص المتواصل بالتحاليل والأشعة، تبين أن زوجته تعاني من سرطان الثدي وقد استفحل وضعه.. إن كانت الحياة بكل هذه القسوة، فلماذا لا نجابهها بقسوة أيضا ونغوص في أغوارها حتى النهاية؟ إن كنا سنموت لماذا لا نسلك طريقا أشرف للموت.. هكذا قرر الإقدام على خطوته التي لا محيص عنها..



نظر إلى الأفق البعيد أين يلتقي البحر بالسماء دون رابط بينهما.. التفت إلى يمينه عند انحناءة الزورق ومد يده ليلتقط قارورة الأكسجين، سحبها ووضعها بين رجليه، ثم رفع وجهه نحو الرجل الجالس على الحافة المقابلة، الذي أنشأ يقول:

- نبيل.. هل أنت بكامل قوتك؟ فأومأ نبيل برأسه إيجابا دون أن ينبس. ولما التمس الرجل منه موافقة، عاد يقول بصوت عطوف يحمل في طياته جسا لنبض نبيل:

- هل أنت متأكد من أنك ستبلغ مئة متر؟ نبيل، إن لم تقدر فستون مترا ستفي بالغرض.

كان يعلم كلاهما أنه لا مناص من المئة متر، فقد جرّب من قبل الغوص ستين مترا و خرج صفر اليدين في أغلب الحالات. الحاجة تبرر الوسيلة، وحاجته تقوده إلى الدرك الأسفل. وأذعن لطمع الرجل ووضع القناع على وجهه مكتفيا بهز كتفيه استهانة.. ستون، مئة، كلها سيان عنده، حتى 150 مترا ستهون في سبيل الرزق. وثبّت قارورة الأكسجين على ظهره. أمسك بقضيب معدني معقوف عند نهايته وتتدلى منه شبكة.. ألقى نظرة أخيرة على الدنيا وسحب نفسا طويلا ثم غطس في الماء.

بدأ ظله يختفي وسط ظلمة البحر كلما غاص أكثر وخلف وراءه فقاعات بدأت تقل مع مرور الوقت.. كان سطح الماء أملس بلون فوسفوري مشع.. هناك تحت السطح شخص وحيد يعاند الحظ والبحر والموت، وكأن تعاسة الأرض لم تكن كافية.. وواصل الغوص..

ثلاثون مترا..

شق طريقه بثبات نحو القاع، سبح بانسيابية ومرونة خليقة بسباح مخضرم. على هذا العمق شاهد أسراب السردين الفضية تتحرك بإيقاع منظم وكأنها لحن موسيقي، ولمح عن بعد سمك الزمير وسربا آخر من سمك «الركوس»، تتحرك زعانفها في حركات رشيقة، تتبع أثر السردين لإقامة مأدبة جماعية.. وواصل الغوص..

خمسون مترا..

لا تزال المئة متر بعيدة ولكنه قطع نصف المسافة حتى الآن.. حرك رجليه بقوة فدفعته الزعانف عدة أمتار إلى الأمام، أحسّ بغتة بوخز في فخذه اليسرى.. تجاهل الألم الذي تسبب به نقص الكالسيوم في عضلاته.. وواصل الغوص..

خمسة وثمانون مترا..

شعر بالضغط يتزايد كلما أوغل في البحر نحو القاع، وثقلت نبضات قلبه تدريجيا، ولكن الحياة لا تزال سارية رغم هذا المكان الموحش، وبينما هو يغوص إذ مر أمامه قنديل برأسه المقبب الشفاف وأطرافه الطويلة الرفيعة.. توقف أمامه برهة وهو يشاهده، تحرك شكله الهلامي عكس لوامسه الرفيعة في حركة كالمضخة.. وواصل الغوص..

ثلاثة وتسعون مترا..

ظهرت الشعاب المرجانية أخيرا، ولاحظ عن كثب لونا أحمر وخطوطا متموجة كشعيرات شقراء تسبح على عمق مئة متر، اقترب من القاع ببطء وتجاهل الألم الصارخ في فخذه اليسرى وأحس بثقل في صدره. كان وهو يقترب من القاع يرى أجمل منظر في حياته.. أجمة من الشعاب المرجانية الملكية الحمراء، تتلألأ خلالها فصوص من اللآلئ الناصعة والفاقعة اللون، وهناك رأى سمكة «الحنكليس» تجر جسمها الطويل وكأنها تزحف فوق كنوز علي بابا في قصص ألف ليلة وليلة قبل أن تدركها يداه.. اشتعل الألم في فخذه و تشنجت قدمه اليسرى ،ولكنه تشبث بأهداب الأمل وقاد القضيب المعدني بين الشعاب يلتقط المرجان المتساقط على القاع.. مضى الوقت سريعا واستنفد كمية لا بأس بها من الأكسجين.. نال منه التعب وتقلصت عضلات فخذه وتشنجت بقوة.. لم يستطع هذه المرة مقاومته فأفلت القضيب من يديه وسقط المرجان متناثرا بين الشعاب.. تحرك بعنف ليمسك برجله وتلوّى في مكانه صارخا بصوت مكتوم، تناثرت من فمه فقاعات كثيرة وسقط القناع من وجهه.. تخبط في مكانه بين الألم الذي عصر جسمه وبين الجهد الضائع لالتقاط القناع..لحظات فقط وإذا به يتسمر فجأة ويمسك صدره بيده.. جحظت عيناه وكأنه يحدق إلى أمر بالغ الدهشة، مد يده كمن يتحسس ملمس وجه جميل، وتحركت شفتاه ببطء في الماء وكأنه يود قول كلمة أخيرة للوجه غير المرئي.. كان نطقه يتردد في الأعماق، كان نداء سرمديا تجاوبت معه الحيتان و البحار والمحيطات.. صلاح الدين، خديجة، زوجتي..

بعد ثلاثة أيام..

ذاع في القرية أن أحد الصيادين الهواة وجد جثة على الشاطئ، فخفّ عدد كبير من السكان إلى خليج بحري على بعد شاطئين من القرية، وكان بينهم امرأة في الخامسة والعشرين غادر زوجها البيت قبل ثلاثة أيام ولم يعد.. همّ رجال الحماية المدنية بإخراج الغريق من عرض البحر إلى الشاطئ لنقله إلى سيارة الإسعاف، وتبادل الرجال بعض الكلمات فقفز لها قلب المرأة، وشقت طريقها وسط الجموع واشرأبت برأسها فلمحت رجال الإسعاف وهم يقتربون وقد نال منهم الجهد.. يحملون جثة بدأت تتضح ملامحها مع اقترابهم..

وانطلقت في الهواء صرخة ملأت ما بين السماء والأرض: «نبيل».. ! [اهـ].

قال وقالت...

أقصوصة

أم تماضر

كَان باقِعة زَمَانِه مع حُسنِ السَّمتِ وَوَقاره، بدِيعَ اللُّغة جزْل الألفاظ، تَخالُه -إذ يُحدِّثك- قدْ أُوتيَ مفاتِيح القلوب والألسنة وأزمَّتها، حصِيفًا: في سدادِ رأيه كأنَّه ابن الدُّنيا التي ولدته ونَفثَت في رَوْحِه قبسةً مِن أَثَرِ غوائِلِها وشُرورِها فإذا هو يدرأ عنه من عاديات الأيَّام واللَّيالي ما شاء الله له ممَّا يدُكُّ الجِبال الرَّاسيات دكًّا، إذ التَّوفيق الإلهي لا يبرحه، والتَّوفيق في الاصطلاح الدُّنيويّ هو الأصل في النَّجاة من كُلِّ داهيةٍ من دواهِي الطَّغام!

وكانت هيَ فتاة غِرَّة قد استلب قلبَها حُبُّ الدُّنيا حتَّى أوداها صريعة شهواتِها لا تملك نفسها، ولا تُباشِرُ الواحدة منها حتَّى تراها لا تلوي على شيء إلَّا أن تقضي منها الغاية، وكان حَريًّا بها وهي في سِنّها تلك أن تذهب في مذاهب الحيَاة الهُوينى، الهُوينى، لا تُقدِّم قدما و لا تُؤخِّر أخرى إلاَّ عن بيّنة من أمر عقلها، فتزن الأمر بنظرة العاقل لا بنظرة المخبول مسلُوبِ العقل، فإن هيَ أوشكت أن تَزِلَّ أو فقدت رسن ناصيتها إذ هي ما زالت في تجربة الحياة غريرة كالصبيّ يتلكّأ الكلمة لا ينبس بها إلاَّ بعد لأي، أحالت مَقالِيد أمرها وما قصُر دونه فِكرها لمن هو أعقل منها فيكفيها مؤونة نفسها.

ولكن كَفى بالمرء شُؤمًا وبُؤسا أن يَخرُج من سَعَة الشَّباب إلى ضيق الكهولة مُترعًا بالهنَّات والخيبات، غارقًا في حِمى الآثامِ وَالزَّيغ، والشَّباب في العُمر كالرُّوح في الجِسم،

المجنـــون

أقصوصة

رؤوف بن الجودي

دخلتُ مقهىً بجنبِ مقرِّ العمل، ذلك المقهى الذي يُشعرك أنَّك عبرتَ بوابةَ الزَمن إلى الماضي إذا ولجتهُ، فكل شيءٍ فيهِ عتيق: الطاولات، المصابيح، خَزَفُ الجدران، حتى النادل ذاتُه؛ لولا تلك الثلاجة التي عليها غلاف «كوكا كولا» الأحمر، الذي يُشعرك ببعض الحداثة ويُرسلُ في عَينَيكَ ألواناً زَاهيةً، على حِسابِ الألوان الباهتة التي تبعث على الحزنِ والكآبةِ في كلِ ركنٍ مِنهُ.. فتُرجعكَ إلى زمان النَّاس هذا.

وأنت داخل، لا تَلبث حتى يَخِزَك صُراخُ عَمِي «مُحمَد» وهو يلوّحُ بشِمَالِه: «قَهوة (براس) أوحاجة أخرى»؛ في حين أنَّ يَمينهُ قد خلَّفها عَلى مِقْبَضِ العَصَّارَة، تَسعَى في اتجاهٍ عمودي، من فوق إلى تحت، ومن تحت إلى فوق، مُلبّياً طَلَباتِ الزَبَائِنِ المُدمِنين على احتِساء القَهوة وشُربِ الدّخان.

اقتربتُ منه، وقُلتُ مُبتسماً: «عَمّي مُحمَد! أُريدُ قَهوةً مُركَّزَة، إذا شربها الثملُ انتَبه، وإذا اشتمَّهَا النَائِمُ أفاق، وإذا مَسَّهَا حجرٌ مَستهُ سرَّاءُ ».

فردَّ -كعادَتِهِ- مُجاملا: «حاضر يا (سي فاريها)، طَلَبَاتك أوامِر».

عمدتُ إلى طاولةٍ بها مَكانٌ شَاغرٌ، حيثُ يجلس شخصٌ يبدو من مَظهرِهِ أنَّهُ مُختلط العقل، فَقلتُ في نَفسِي: لو شَرعتُ بالنُهوضِ في وجهِهِ، لسَوفَ يُحدِثُ ذَلك شرخاً في نَفسِيتِهِ، فعزمتُ على أن أقاسمَهُ الطاولة، وليَكن ما يَكون!

رأيت فيما رأيتُ، رجُلاً عَليهِ أحلاسٌ، تُشعرُك بالبردِ بمُجرَدِ أن تقعَ عينكَ عليها.. تعلو رأسَهُ قبعةٌ رياضيةٌ مدهونةٌ بكلِّ أصناف القمامة.. أخبرني هندامه أنَّه نزيل الأرصفة والطرقات، وأنَّه إنَّما يتوسد الأرض وفي أحسن الحالات «كرتونة» عتيقة، قد تشبَّثتُ من بقع البول التي يلفِظها سرواله!

وُضع بين يديه كوبُ قهوةٍ، تتوسَّطُهُ مِلعقةٌ للسُكر، يُديرها باستمرارٍ ليَمنعَ أيادي العابثين من أن تنالها(!).. لو

فإنْ هِيَ -الرُّوح- استُلَّت ومُحِقت واستحالت إلى معانِيها الماديَّة الصِّرفة لم يبق إلاَّ الجسد، والجَسَدُ جِمَاعُ المَعَانِي الحيوانِيَّة في الإنسان، كذلكَ هو الشَّباب فإن هو انفضّ فكأنَّ ربيع العُمر شمسٌ تُوشِكُ أن تغيب.

هُوَ من هُوَ من سادة الأدب وأهل الشأو وذوي الحِجا وأرباب العُقول وجهابذة الفُحول طودٌ شامخٌ فِي إنسانيَّته ومروءته.

وهِيَ من هِيَ فتاة في مِسلاخِ امرأة وعقل غانيةٍ وقلب بناتِ المواخير قد ساورتها يدُ الحياة عن نفسها فأذعنت ولاذت لكلِّ قبيحٍ مُستهجن.

ولكِنَّها على سُوءِ ما كانت عليه.. وفِي مكان قصِيٍّ من ضواحِي قلبها، كانت جذوة نور ذاكية تُوشِكُ أن تجعلها بعْدَ كُلِّ سَقطَةٍ قطعة من الآلام، فإذا هِي كاسِفة البَال، مُتضوِّرةٌ مُطرِقةٌ لا تجِدُ لتِلك الصُّدوعِ التي غزَت كيَانها التِئاما، فهِي في كلِّ ما مضى ثلمة لا تُسد، وفي كلِّ ما هو آت شرخ آخذٌ في الاتساع.

ولم تجد من تُطارحُه همَّها وتبُثُّه شكاة نفسها ولواعج ما تحتمل، فاستسلمت لمدامعها ورأت في ماء عينها ينبوع حياة تستقي منه البقاء.. ومن شُؤم النَّفس أنَّك لا تسعى لإسعادها إلَّا لتشقى.. وما أحكم ما نقول لمن يُعالج لذَّاته: كُن عدُوَّ نفسِك تبرأ!.. ومن شُؤم الذَّنب أنَّك لا تُقارفُه إلا لِيَخْبَل بما يُشاكله، فإن أنت لم تتجرَّع من أجل الإحجام عنه جِسام الأوجاع النَّفسيَّة التي تَلِدُك من بَعدُ كيومِ ولدتك أُمُّك، وَلَدَ هو من صُنوف الخطايا والآثام ما إنَّ الجِبال لتَنُوء عن حِمل مثله.

ولَكِنَّ الله شاء لهذه الفتاة المِسكينة أن تُعرِّج في يوم شِتائيٍّ ماطر على المكتبة تحتمي بها من وابل الودَق المنهلِّ عليها، واتَّخذت ركنا منعزلا عساها ترتاح قليلا من أعيُن النَّاس التي تلتهمها بالعشيِّ والإبكار، وهي في حالتها تلك تُعالِج مخاضها النَّفسي وهو على بعد شبر منها يُعالج آلام مخاضه الفكريّ، وهما في مخاضهما كلٌّ يلد فلسفة من فلسفات الوجود منطرحا في مندوحة من عمل قلبه وعقله، وإذ بعينهما تلتقيان في غفلة من أمرهما، وإذ بسيَّال فكرهما يُغازل بعضه، وإذ بحديث ألحاظهما يُترجم حديث ما قَالَ وَقَالَتْ! [اهـ].

أبصرتَ فمَهُ، لحسبتَه فوهةَ مغارةٍ على جبلٍ مَهجُور.. قد تساقطتْ أسنانه إلا قليلا، والذي نجا منها يُغلِّفُه صديدٌ أكادُ أجزمُ غيرَ مرتابٍ أنَّهُ لن يُزيلَهُ حتَّى كيرُ الحدَّاد!

كان مكتنفًا سيجارةَ تبغٍ من نوعٍ عتيدٍ جدّاً، ينفخُ فيها كأنَّما ينفخُ في بوقٍ؛ لكنَّ نفخَهُ إلى جوفِهِ لا في الهواء.. كانَ نفخُهُ مصحوبا بدخانٍ كثيفٍ، يُنبئُ بتاريخٍ حافلٍ وخبرةٍ متطاولةٍ في عالمِ التدخينِ(!).. خيِّل إليَّ من منظرِ سيجارتِهِ التي ثبَّتها بين الإبهام والوسطى، ومن صورةِ شفتيْهِ اللَّتيْن لم يُزحزحهُما إلّا بقدرٍ ضئيل لطَرْحِ الدخان العالق في رِئتَيْه؛ خُيِّلَ إليَّ كأنَّه قِطارٌ بُخاريٌّ يَسِيرُ على سكةٍ مستقيمةٍ، إلا أنَّ قطار صاحِبنا ثابتٌ، والسكَّة مَن تتحرَّك بَدَلَهُ، وربَّما هذا الذي دفعَهُ ليظلَّ ثابتا في كرسيِّهِ، يُجذِّف بقدميه يمنة ويسرة!

من يراهُ غارقاً في تفكيرٍ عميقٍ، يَحسَبُ أنَّه قد حُمِّل تدابير الكونِ، وأنَّه قد انتهت إليه أعباءُ الأممِ وهمومها.. وفي غمرة من غمرات هذا التفكيرِ الطويل، نسِيَ أن يتخلَّص من رماد سيجارته؛ فهَرعتُ أضعُ بين يديه منفضةَ السجائر، ففزِعَ من الأمروكاد يُحرقُ ثيابَه، وبدون شعورٍ منه راح يُلقي جُلَّ الرَمادِ على الطَاولةِ، وشيئا نزيراً في منفضة السجائر، ولبُرْهةٍ عاد إليه الرُشْدُ؛ فقال متلمِّظا الكلمات:

- صَحًّا، صَحًّا ...

وعاد إلى جنونه مرة أخرى، بعد غربةٍ اضطُرَّ لها!

لم أفهم سبَبَ عُبوسِهِ للوهلة الأولى، وهو المُسافرُ بعقلِه وروحِه إلى دُنيا غير دُنيا النَّاس، وكأنَّ العالم الذي يتقاسَمُهُ كلُّ البشر، قد اختزلهُ في كرة رأسه، كذا يفعل الخيال بالمرء، والجنون أيضاً!

في ذلك الحين بدأ نفرٌ من الشُبَّانِ الطائشِين داخل المقهى، بالتدافع والتراشق بالكلمات النابية، مُمارسين مُشاكساتهم فيما بينهم، وأحسبُ «المجنونَ» قد استأنسَ بلعبهم؛ فكما عاد إلى دُنيا العقلاء فشكرني على صنيعي، زاره هؤلاء الطائشون بنفس الطريقة في عالم جنونهِ بشغبهم ومشاكساتهم، ليرحِّبَ بهم بابتسامة خاطفة!

انتهتْ السيجارةُ الأُولى، فهَمَّ بإطفائها.. أدخل يده إلى مستودع الذخيرة في جيب سُترتِهِ، واستخرج سيجارة أخرى، فرجع ليتحسَّس الجمرةَ في السيجارة الأولى فنَسِيَ أنَّهُ قد أخمدَها.. وكأنَّ الأحداث ليس لها ترتيب في رأسِهِ، فقدرتُهُ الإدراكية جعلتهُ متأخراً قليلا عمَّا يحدثُ من حوله، فالسيجارة في رأسه ما تَزالُ مُتَّقِدَةً وجمرُها ما يزال مُشتعِلاً، وهو يُحاول جاهداً أن ينقذها من الموت المُحتَّم، لذا كان يضغط بقوة، في حزم وعزم.. ساءني منظرهُ وهو يُحاول، ويُحاول بلا جدوى.. في تلك اللحظة، وصل صديقي «حكيم»، الذي كان مبتلىً بشُرب الدخان أيضا، فطلبتُ منهُ أن يُشعلَ -لهذا المخبول- سيجارتَهُ قبل أن يُصوِّرنا لهُ جُنونُهُ كعِيدان ثِقاب!

أُوقدَ له «حكيم» السيجارة، واستأنفتْ سكةُ الحَديدِ رِحلتَها على هذا القطار البخاري؛ وعاد ليجذِّفَ بقدَمَيْهِ مِن جَدِيد! [اهـ].




حد
و
حدیث



اللغة الأم ومسؤولية الحفاظ عليها

عبد المومن تلايلف

تحتفل المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (يونيسكو) كل عام باليوم العالمي للغة الأم؛ المصادف ليوم ٢١ فبراير من كل سنة، والذي أعلنته المنظمة التابعة للأمم المتحدة أثناء مؤتمر عام في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٩، عملاً بموقفها الداعي للدفاع عن التنوع الثقافي وتعدد اللغات في العالم.

وهنا نطرح تساؤلا عن مدى استخدام الأمة العربية للغتها الأم، في ظلِّ سيطرة اللغات الأعجمية على مختلف مظاهر الحياة، السياسية والاقتصادية وحتَّى الأدبية، وهو الوضع الذي بات يقلق الغيورين على لغتنا التي اختارها الله -دون سواها- كي تكون ترجمانا لكلامه ورسالته الخالدة. والحق أنه لو لم تكن العربية لسان كلامِ العلي القدير؛ لربما اندثرت وتلاشت، ولم نعد نسمع بها إلا في كُتُبِ التاريخ كأنَّها أثر من آثار الأمم البائدة، إذِ القرآن هو الذي حفظها وصانها من الزوال والتلاشي، بل كان السبب الوجيه الذي قادها نحو التوسع والانتشار..

إن السؤال الحقيقي اليوم، هو ماذا قدمت الأمة العربية للغتها الأم؟ وما مستقبل اللغة العربية في وطنها، فضلا على مستقبلها في العالم؟ إذ إننا أصبحنا نرى ونلمس خدمات جليلة تقدمها هيئات ومؤسسات غير عربية، أفضل مما تقدمه مثيلاتها العربية، ومنه قرار الحكومة التركية تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية، فالعربية خدمها غير العرب أكثر مما خدمها المنتسبون إليها من أبنائها، على حد تعبير الدكتور عبد الرزاق قسّوم في إحدى الحصص التي تبثها القناة الأولى الحكومية .

يجب على الأمة العربية أن تعيَ أنه لن تتقدم أمة إلا بلغتها وثقافتها وحضارتها، وليس بتنبي لغة أخرى وثقافة دخيلة، ولنتأمل في بعض الشعوب التي كانت بالأمس القريب أمما دوننا حضارة وثقافة، وأصبحت اليوم تضاهي الأمم الكبيرة، ليس بشيء إلا بتمسكها بلغتها وثقافتها وهويتها وفقط، فها هي تركيا قد أصبحت فاعلا سياسيا في المنطقة، سياسيا وثقافيا، وعلى كل الأصعدة، فقد أصبحت المسلسلات التركية ظاهرة السنوات الأخيرة، نشاهدها أينما اتجهنا، وحيث ما ولينا وجوهنا، وأصبحت تترجم إلى اللهجات المحلية العربية، وقد تخطى تأثيرها كل التوقعات، حتى أصبح الآباء يسمون أبناءهم بأسماء تركية، أو شاهدوها في مسلسلات تركية على الأقل، وليس هذا إلا لأنها نجحت في فرض هويتها ولغتها وثقافتها، فأصبحت تسوّق لثقافتها، وتنشر عاداتها وتقاليدها من خلالها على العرب وعلى العالم، ونحن لاهون بالكراسي والمسؤوليات، ومن حولنا يتفرجون ضاحكين، وصدق من قال: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم.



ومن الأمثلة الأخرى؛ ماليزيا، التي أصبحت في طليعة الأمم في المجالات الثقافية والاقتصادية والحضارية، فعندما تجد الجامعات الماليزية في أعلى سلم الجامعات في العالم من حيث الإنتاج العلمي، تعرف أنها أمة نجحت ثقافيا، وهي التي كانت غير بعيد تتخبط في غياهب الفقر والجهل.

قرأت مؤخرا مقالا في إحدى الصحف عن منع إيران قرابة عشرة ملايين إيراني من تعلم لغتهم الأم وهي اللغة العربية، حيث يُمنع منعاً باتاً على المؤسسات المستقلة غير النفعية تدشين مدارس لتعليم العربية، ولا نشر صحف ومجلات بهذه اللغة، ولا حتى التحدث بها في المدارس والمنشآت العامة والحكومية ولا تسمية المواليد بأسماء عربية، فأين مسؤولية اليونسكو من كل هذا، أم أنها معنية فقط بتحديد أيام ومناسبات، ولا تكترث لما يحدث للمعنيين بتلك المناسبات؟ وأين الحكومات العربية من كل هذا؟ لم لا تمارس ضغطا سياسيا من أجل السماح بحقوق عرب إيران المشروعة؟

من جهة أخرى، أرى أن الأزمة التي تمر بها المنطقة العربية، وسوريا على الخصوص، ستعود بالنفع على اللغة العربية



بطريقة ما، إذ إن الأعداد الهائلة للاجئين في أوروبا ستفرض على هذه الدول أخذ لغتهم الأم بعين الاعتبار، وهو ما حدث في مملكة بلجيكا، حيث سن قانون بموجبه يتم تخصيص حصة في المدارس الحكومية حول الدين الإسلامي إذا وُجد طالب مسلم واحد على الأقل في القسم، فلمَ لا يتم الضغط على المستوى الدبلوماسي من أجل تخصيص حصة للغة العربية لأبناء الجالية الراغبة في تدريس أبنائها لغتهم الأم.

في ذات النسق، أقدمت السلطات الألمانية بخطوة تحسب للغة العربية، عندما أعدت نشريات باللغة العربية للاجئين.

أذكر مرة أنني شاهدت على التلفزيون الرسمي للجمهورية الجزائرية وفي النشرة الرئيسية، تصريحا لأحد مسؤولينا، بمعية السفير الأمريكي في الجزائر آنذاك، وهو السيد «روبرت فورد»، حيث أطل علينا المسؤول الذي يمثل الدولة الجزائرية، والتي تعتبر العربية اللغة الرسمية الوحيدة (قبل دسترة اللغة الأمازيغية)، أطل علينا بلغة فولتير، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما أدلى السفير بتصريحه بلغة عربية فصيحة، يفتقدها الكثير من مسؤولينا..

وأذكر مرة أني قرأت عن وزير فرنسي كان يعقد ندوة صحفية، وكان يتقن عدة لغات، فكان في كل مرة يصر على الإجابة بلغة بلده الرسمية، إلا سؤالا واحدا كان باللغة الألمانية، أجاب عنه بالألمانية، فأثار هذا التصرف أحد الصحفيين الفضوليين، فسأله لماذا أجبت عن السؤال بالألمانية مع أنك أجبت عن كل الأسئلة باللغة الفرنسية؟ فرد عليه بأن كل الأسئلة السابقة كانت توجه له بصفته وزيرا في الدولة الفرنسية، وأن عليه أن يحترم الدستور والمشاعر الفرنسية، لكن السؤال الأخير كان سؤالا شخصيا، وله الحرية في الإجابة باللغة التي يشاء.

بهذه العقليات ترتقي اللغة وتتدهور، كيف لا، واللغة العربية تحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد الناطقين بها في العالم، بينما تحتل الفرنسية المرتبة التاسعة، ورغم ذلك، نجدها لغة العلم، ولغة الإدارة في بلد لغته الدستورية هي العربية، وإن تم التحجج بكون الإطارات مفرنسة، وأنه يتطلب وقت من أجل التحول إلى اللغة العربية، فإننا قد قطعنا نصف قرن من الاستقلال، ودار لقمان على حالها، بل زادت سوءا، لأننا الآن تكلمنا العربية بلغة لا تشبه العربية في شيء، ولا الفرنسية، أصبحت لغتنا هجينة، فانطبق علينا بحق المثل الشعبي: أراد الغراب أن يمشي مشية الحمامة، فلا هو بمشيته، ولا هو بمشيتها.

يبقى علينا نحن أبناء العربية أن نعمل جاهدين من أجل لغتنا، وأن لا ننتظر من غيرنا أن يقيم لها اعتبارا، وكفانا تغنيا بأمجاد الماضي، أمجاد لم نصنعها، بل ورثناها، وليتنا استطعنا الحفاظ عليها، بل على النقيض من ذلك، أضعناها، ونكاد نفقدها كلية، إن لم يتحرك الضمير العربي، فإنه وللأسف سوف تضيع العربية. [اهـ].

«يحيى بختي»

الشاعر المُجاهد يوارى التــراب!

عبد المومن تلايلف

انتقل صبيحة يوم الخميس 22 جانفي 2016 إلى جوار ربِّهِ، أحد فحول الشعر الشعبي بولاية الجلفة، المغفور له بإذن الله تعالى المجاهد «يحيى بختي» عن عمر ناهز 85 سنة، بعد مرض عضال ألزمه الفراش ردحًا من الزمن.

ولد يحيى بختي عام 1931 في سيدي بايزيد بولاية الجلفة، تعلم وحفظ القرآن الكريم بمنطقة حد الصحاري في الفترة ما بين 1943-1936م على يد شيوخ من عشيرته، أمثال الشيخ محمد بن يحيى بن علي، وأبو بكر بن عمر مسروقي. تخرج بإجازة بنَّاء في مدرسة التكوين المهني بالعفرون، والْتحق بعدها بالكشافة الإسلامية الجزائرية، وبدأ نظم الشعر وهو لم يُجاوز السابعة عشرة من عمره.

الفقيد من مجاهدي منطقة أولاد نايل، أو ما تعرف اليوم بولاية الجلفة، فقد لبى نداء التحرر من المستدمر الفرنسي بمجرد ارتداد صدى الثورة الجزائرية إلى سمعه، بحيث كان له دور بارز في المقاومة في المنطقة، وسعى إلى ذلك سعيا حثيثا، ففي عام 1955 عقد اجتماعا مع زملائه من أجل شراء الأسلحة لتمويل الحركة الثورية في المنطقة، كما اتصل لهذا الغرض بالمناضل «عمور عمر» بالمليليحة. وفي العام 1956 اتصل بقادة الثورة في المنطقة، فعمل تحت قيادة كل من الشيخ «زيان عاشور» والرائد «عمر إدريس»، ليُكلف بمسؤولية الاتصال بين الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة. اتجه في سبتمبر 1957 رفقة مجموعة من المجاهدين تحت قيادة «عمر إدريس» إلى المغرب الأقصى في عملية تهريب السلاح إلى الجزائر.

واصل مسيرته بعد الاستقلال وتولى مسؤوليات عدة، فكان مسؤولا في محافظة الغابات بمدينة حد الصحاري، وانتُخب لثلاث فترات متتالية في مجلسها البلدي، كما كان مسؤولا في حزب جبهة التحرير الوطني بعين وسارة، إلى أن قدم استقالته عام 1971.

هاجر إلى فرنسا وهناك أصدر قصيدته الشهيرة المسماة «الإلياذة الشعبية»، ومن قصائده المشهورة أيضا: «سجل يا تاريخ» التي غناها الراحل «خليفي أحمد».

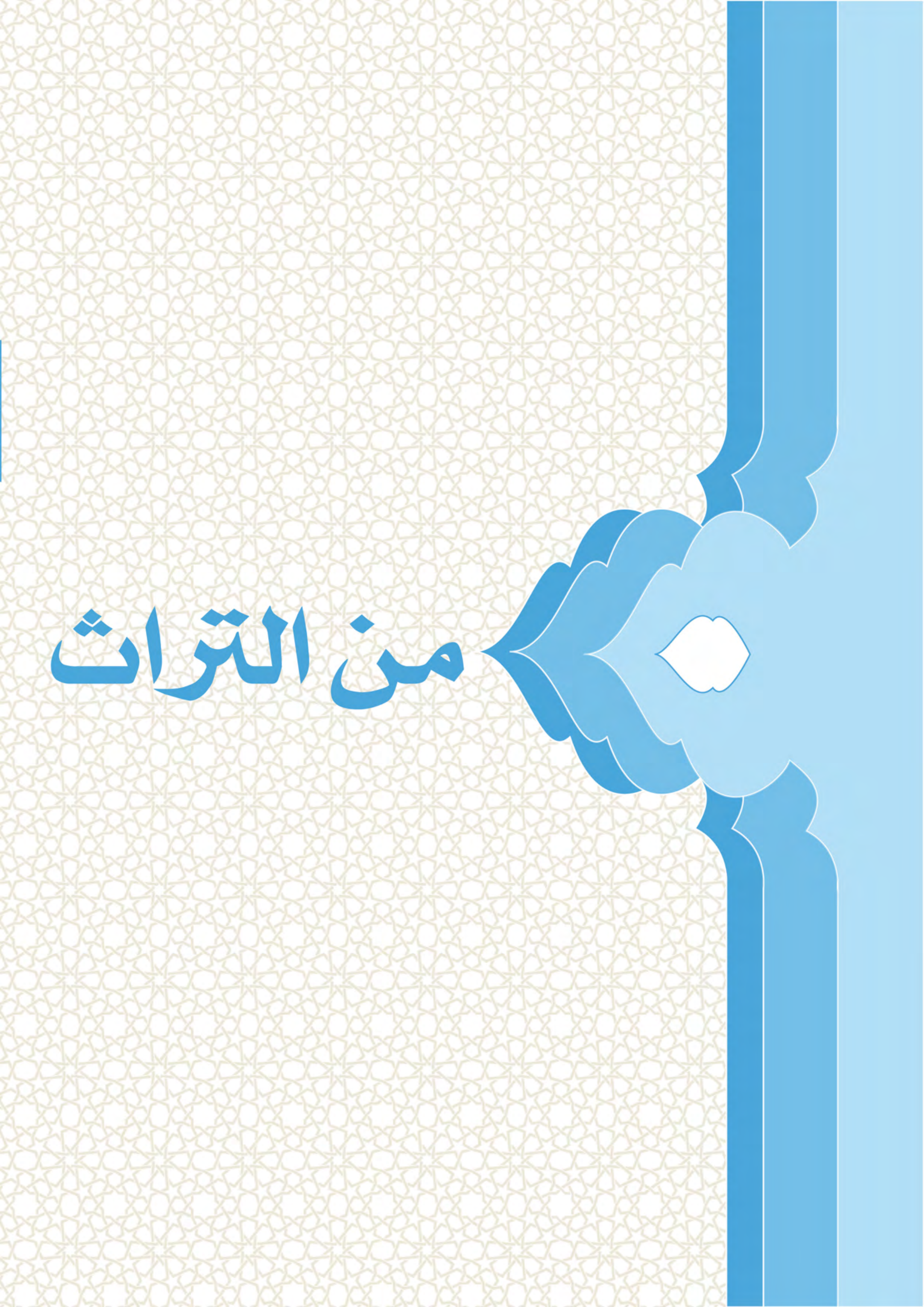
شارك المجاهد بختي الحاج يحيى -رحمه الله- الملقّب بشاعر أولاد نايل، في عدة مهرجانات ونال عدة جوائز وكرّم في عدة مناسبات، وتمت دراسة أشعاره من طرف الطلبة والباحثين لنيل شهادات الماجستير والدكتوراه من مختلف الجامعات الجزائرية، وقد امتازت دواوينه بكثرة القصائد وتعدد الأغراض الشعرية؛ من غزل ومدح وهجاء ورثاء وخاصة الشعر الوطني.

يعتبر الراحل مرجعا للباحثين في الأدب الشعبي، ومنهلا للشعراء والأدباء جميعا، لِمَا كان يحمله أدبه من فصاحة، وعبارات ذوات الدلالة.

هذا، وقد ووري الثرى في ذات اليوم (يوم الخميس 25 جانفي 2016) بمقبرة «بلدية بايزيد» في ولاية الجلفة، رحمه الله رحمةً واسعة.[اهـ].



يحيى بختي


من التراث



من التراث

«الطاهر بن عيشة»

فقيد الفكر و الصحافة والبحث العلمي

عبد المومن تلايلف

توفي ليلة الثاني من شهر جانفي من السنة الجديدة، المثقف والإعلامي الجزائري «الطاهر بن عيشة» في الجزائر العاصمة عن عمر ناهز ٩٠ عاما، إثر مرض ألزمه الفراش مدة طويلة حسبما علم من عائلته، وقد ووري الفقيد الثرى بمسقط رأسه في مدينة «قمار» بوادي سوف يوم الرابع من الشهر نفسه، تاركا فراغا ثقافيا وفكريا، إذ يعد رحيله خسارة للحركة الثقافية الفكرية للجزائر وللعرب.

وقد تزامن رحيل الأديب الكبير، والمجاهد «الطاهر بن عيشة» الذي يوصف بالأديب الشيوعي الجزائري، مع وفاة الأب الروحي للمعارضة في الجزائر «حسين آيت احمد»، ويشكل هذا التزامن نقطة التقاء تضاف إلى العديد من نقاط التشابه والتقاطع التي جمعت بين الرجل السياسي والأديب، وهو الذي صرح ذات مرة بخصوص عدم إصداره لمؤلف يجمع بعض أفكاره وتوجهاته الأدبية والفكرية، وربما حتى السياسية؛ قائلا إنه انشغل في البداية بالنضال، ثم شغلته بعدها الخيبة*، لأنه لم يكن راضيا عما تمخضت عنه الصراعات السياسية عقب الاستقلال.

• مسيرة رجل..

ولد الطاهر بن عيشة في مدينة «قمار» التابعة لولاية «الوادي» عام 1925، وبعد أن أتم تعليمه الابتدائي؛ انتقل عام 1942 إلى جامع «الزيتونة» بتونس ليتعلم علوم الدين، وعاد إلى الجزائر العاصمة بداية العام 1949.

انتهج «سي الطاهر» النهج السياسي الاشتراكي، وتبنى الشيوعية ودافع عنها، وقد بدا عليه هذا النحو ظاهرا جليا، سواء في حياته بصفة عامة؛ أو من خلال أعماله الأدبية والفكرية، وقال عنها «إن الاشتراكية جميلة ومعدنها طيب، إنها تعني في النهاية الحق المتساوي من الشمس على البشرية جمعاء، ثم إن الاشتراكية مذهب كل العظماء من الكتاب والشعراء، قد يستحيل أن تكون ليبراليا وتفكر في قوت الفقراء».

انتمى الطاهر بن عيشة لحزب الشعب الجزائري، ثم ما لبث أن التحق بجبهة التحرير الوطني بعد اندلاع حرب الاستقلال عام 1954، مثله في ذلك مثل أي غيور على بلده، حريص على الحقوق المسلوبة لأبناء وطنه، متطلع نحو آفاق الحرية والانعتاق من براثن الاستدمار الساعي لاجتثاث الشعب وإفراغه من هويته الوطنية.

• الطاهر بن عيشة عميد الصحفيين الجزائريين

عند استقلال الجزائر فضّل الطاهر بن عيشة العمل في قطاع التعليم على العمل لدى الإدارة، ثم التحق بمهنة الصحافة، حيث كان قد بدأ مسيرته الإعلامية منذ أربعينيات القرن الماضي، إذ نشر عدة مقالات في صحف ومجلات من بينها «عصا موسى» التي كان هو مؤسسها مع أستاذه السعيد الزاهري والتي أصدرها عام 1950، وكان ينفق

على إصدارها الشيخ الطيب العقبي رحمه الله، ولكن السلطات الاستعمارية أوقفتها بعد صدور 16 عددا منها بسبب المواقف الجريئة التي كانت تتضمنها ضد الاستعماروسياسته الاندماجية وضد أعوانه.

وعن كيفية انضمام سي الطاهر إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في نوفمبر عام 1962، فقد كانت كيفية غريبة حقا، فمع بداية الدخول الاجتماعي أرسل سي الطاهر طلبين للتوظيف لوزارتي العدل والتربية، وجاءته الموافقة من الوزارتين معا، الأولى ليكون قاضيا في واد الفضة بعين الدفلى، والثانية بالقبول معلما في حجوط بتيبازة، لكنه فضل التعليم لقرب حجوط من الجزائر العاصمة، ثم لم يلبث أن أرسل المعلم سي الطاهر نصا يتضمن ستا وثلاثين صفحة للإذاعة والتلفزيون آنذاك يتعرض فيه للتناقضات التي عرفتها الثورة، لكنه لم يرفق النص باسمه، بل بعثه باسم مجهول، وعندما وقع في أيدي أعضاء لجنة قراءة النصوص التي تم تنصيبها مباشرة بعد استعادة السيادة على مؤسسة الإذاعة والتلفزيون يوم 28 أكتوبر، أعجب الجميع بالنص الذي لم يعرفوا صاحبه، وراح الراحل عيسى مسعودي أول مدير عام للمؤسسة يحث الجميع على البحث عن صاحب النص المجهول. وكان من محاسن الصدف أن السيد عبد العزيز شكيري الذي رفع العلم الوطني فوق مبنى المؤسسة، تعرف على خط سي الطاهر لمعرفته السابقة به، فأسرّ لأعضاء اللجنة باسم صاحب النص، فما كان من المدير العام إلا أن دعاه ليباشر العمل بالإذاعة، قائلا: هذا الرجل الذي أعرفه، مهمته العمل في الإذاعة وليس التعليم!

وهكذا كانت بداية سي الطاهر مع الإذاعة التي انكب فيها بكل جد ومثابرة على إعداد وكتابة أربعة برامج أسبوعية، من بينها: صوت العمال، ومنك السؤال والجواب، ونافذة على إفريقيا.

ولم يكتف الطاهر بن عيشة بالعمل الإذاعي وحده، بل أسهم مع صديقه السابق المرحوم الطاهر وطار في إنشاء جريدة «الجماهير»، و«ثورة وعمل» اللسان الناطق باسم الاتحاد العام للعمال الجزائريين بعد الاستقلال، ثم ما لبث أن دشن مساره الوثائقي عبر حلقات تلفزيونية ركزت على حقوق العمال، وبعدها انطلق في هذا المجال.

تكبد الرجل الكثير من العناء والصعوبات والتقلبات في حياته، وناله من قسوة الحياة وأهوالها ومرها ومن تشريد عن بيته وزوجته وأبنائه خلال سنوات الإرهاب الأعمى في التسعينيات، حيث كان مهددا بالموت والقتل في كل لحظة، مثله مثل كل الصحفيين والمثقفين المتميزين آنذاك، ورغم أنه كان أول صحفي جزائري يُجبر على التقاعد المسبق دون السن القانونية للتقاعد في الجزائر، بسبب أفكاره السياسية، ورغم السجن الذي عانى منه إبان الاحتلال، فإن شيخ المجادلين اليساريين دون منازع، بقي صامدا ضد ثقافة الجحود والنكران والنسيان وضد الانحرافات أيا كان شكلها، بل بقي صامدا ضد ما اعتبره انحرافا عن مبادئ قامت عليها ثورة التحرير، إذ لم يكن الغرض منها تحرير الأرض فقط حسبه، بل كانت أيضا من أجل عتق العقول التي لم تتحرر بالكامل، وكان يرى ضرورة مواصلة العمل من أجل بلوغ المرام.

استطاع الرجل أن يفرض احترامه على الغير، لثقافته الواسعة في الدين والأدب والتاريخ والفلسفة، وفي تاريخ الشخصيات البارزة وطنيا وعالميا وإسلاميا، فقد كان موسوعة متنقلة بحق، وذاكرة حية عن التاريخ في الوطن بل والتاريخ الإسلامي رغم ما يقال أنه شديد التعصب للفكر اليساري، إلا أن وطنيته المفرطة وتعففه عن المادة وعن المناصب والجري وراءها، أكسبه مودة واحتراما بالغين.

ويعد الشيخ سعيد الزاهري من بين الرجالات الذين عرفهم سي الطاهر وأخذ عنهم وتأثر بهم، ويحكي عنهم بإعجاب وتقدير كبيرين، ويعتبره مثله الأعلى في المواقف والجرأة والكتابة الراقية شعرا ونثرا، إذ يرى أنه شخصية نادرة لن تتكرر، وأن هذا الرجل صاحب المواقف الإصلاحية الجريئة لا يرقى إليه شخص آخر في الكتابة النثرية والشعرية والخطابة والفصاحة والمواقف، ويظن أن شخصيته القوية الآسرة واحدة من العوامل التي عجلت للأسف بتصفيته جسديا إبان الثورة.

ومما يذكر عن بن عيشة، أنه كان يتحدث بإعجاب كبير عن البطل الكبير الشهيد مصطفى بن بولعيد، الذي التقاه أكثر من مرة عندما أوفده حزب الشعب الجزائري للقيام بحملة انتخابية لصالح الحزب في انتخابات عام 1948 في الأوراس والزيبان، ويرى أنه كان وطنيا كبيرا وعملاقا أوراسيا متزنا وهادئا، تنفذ كلماته إلى العقل كالرصاصة التي لا تخطئ الهدف.

كانت للراحل بصمة في ثورة التحرير المجيدة منذ يومها الأول؛ حيث شارك في انطلاق شرارتها الأولى، حيث قام صحبة رفيق دربه في حزب الشعب عبد الكريم هالي، بعملية سبقت اندلاع شرارة أول نوفمبر بأيام، وكان ذلك يوم 8 أكتوبر، وتمثلت هذه العملية في إحراق متجر أحد اليهود المعروفين بمعاداتهم الكبيرة للجزائريين في قلب مدينة الجزائر، وشد الرحال بعدها إلى فرنسا في مهمة أوكلت إليه من أجل تمويل الثورة بالسلاح، فلبى النداء، رغم أنه لم يكن يحسن التكلم بالفرنسية. وفي



باريس التقى بالسيد «مصالي الحاج» لأول مرة قبيل اندلاع الثورة، وهنا يذكر «سي الطاهر» اكتشافه لحقيقة غزارة علم مصالي الحاج، إذ فوجئ بثقافة الرجل وموسوعيته، وهو الذي كان يسمع أنه أميّ لا يقرأ ولا يكتب، لكنه استغرب في ذات الوقت من ردة فعل زعيم الحركة الوطنية عندما تحدثا عن ضرورة انطلاق العمل المسلح، إذ لمس منه عدم التحمس لذلك، بدعوى أن الوقت لم يحن بعد.

وممن تعرف عليهم في تلك الفترة، العقيد «محمدي السعيد» والعقيد الشهيد «عميروش»، حيث مكث بصحبة هذا الأخير كما يقول قرابة شهر ونصف على الحدود الجزائرية التونسية.

عمل سي الطاهر في الصحافة المكتوبة، وأنتج للمسرح، وأنتج العديد من البرامج والأشرطة للإذاعة والتلفزيون، ومارس السياسة قبل ذلك بمنطق المناضلين الشرفاء، بل وعمل في مهن أخرى من بينها التعليم الذي هرّبه منه الراحل عيسى مسعودي. ورغم ما عرف به من أدبه وثقافته الواسعتين، فإنه لم يطبع أي كتاب يحفظ به ما تركه للأجيال من أعمال، ليترك هذه المهمة للهيئات المعنية والوصية بالشأن الثقافي وعلى رأسها وزارة الثقافة، وهيئة المكتبة الوطنية، إذ ترك رصيدا لا يستهان به من مقالات ومحاضرات وبرامج إذاعية وأشرطة وتقارير تلفزيونية على امتداد نحو سبعين عاما، حتى يستفيد منها الباحثون والمهتمون بأدب وأعمال الراحل.

خلال فترة إعدادي لهذه المقالة حول الرجل الكبير، علمت أنه من الرجالات الكبار الذين أنجبتهم الجزائر، وأنه كان سيدا في كلمته وفكره، فلم يرضخ للضغوطات التي مورست عليه، سواء من قبل النظام السياسي الذي كان ينتقده في كل مناسبة، أو من طرف من ظنوا أنه على غير الجادة والطريق القويم،

وعرفت أيضا أنه كان من أشد المدافعين عن اللغة العربية، وعن ضرورة النهوض بها من خلال تشجيع الأدباء والمفكرين، وأنه كان مسلما متدينا لكنه كان يساريا.

وعلى عكس ما يروج له هنا وهناك، فقد أنتج العديد من التقارير حول الإسلام في إفريقيا والأندلس، والتي كان لها الفضل في زيادة الشعور بالانتماء للإسلام في الفترة التي تلت الاستقلال، إذ لا يخفى ضعف الوضع الديني حينها حيث كانت مخلفات الاستدمار لا تزال سائدة، من انتشار البدع والخرافات التي كان المحتل الظالم يشجعها، كما أنه أدى مناسك الحج.

هذه صورة غير مكبرة عن رجل كبير ثقافة، وثاقب رؤية، وأصيل فهما، وخفيف روحا، عن رجل لم يؤمن إلا بأفكاره التي بذل حياته فداها، ويبقى على من عاصروه وعرفوه عن قرب أن يدلوا بشاهداتهم حول الرجل، حتى لا يندثر اسمه وهو الذي أعطى الجزائر في الثورة والصحافة والتعليم والأدب والفكر والسياسة.

قال الطاهر بن عيشة عن نفسه «لم يحدث أن ندمت يوماً عن شيء قلته، فمنذ زمن طويل لا أقول إلا الحقيقة، لا أرحم لا حاكماً ولا محكوماً».

• الرحيل..

ليلة الثاني من شهر جانفي 2016، انتقل إلى رحمة الله، الكاتب الصحفي القدير الأستاذ الطاهر بن عيشة بمستشفى الدويرة بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 90 عاما، إثر تدهور صحته في السنتين الأخيرتين، ومرض عضال ألزمه الفراش فترة طويلة. وكان الطاهر قد أصيب بمرض الزهايمر في الأشهر الأخيرة من حياته، حيث أوصى قبل الوفاة بدفنه في مسقط رأسه بمدينة قمار بوادي سوف.

يعتبر بن عيشة بمثابة ذاكرة للجزائر المعاصرة لعمق ثقافته ورسوخ أفكاره فيما هو حداثي وعقلاني. وقد ترك اليساري ذو النزعة العلمانية رصيداً إبداعياً ضخماً على أكثر من صعيد. كما خاض تجارب نضالية وثقافية وإنسانية على مدى نصف قرن.[اه].

الطاهر بن عيشة

ابن أبي حجلة

أوراق بحثية في التـراث الأدبي الجزائري

عـــادل حميـــد

«تـراث الجـزائـر» -مهما شطّت عن سفينة الحضارة- هو شراعها الذي لا بدّ أن تـرفعه شعارا في وجه رياح العولمة والحداثة المزعومة؛ كما رفعته من قبل في وجه الاستخراب الفرنسيّ، فحافظت به على كينونتها ووجودها من الطمس والاندثار، وأبقت للخلف -من أمّتنا- صرحا شامخا أسس بنيانه على بيّنة من السلف، «ولا يَصلح آخر هذه الأمّة إلا ما أصلح أوّلها»[1].

وعراقة الجزائر في الأدب من عراقة تاريخها المجيد، ولا ينكر مكانة تراثنا بين الأمم إلا جاحد مُعانِد، أو جاهل جامد[2]، غير أنّ هذه الثّروة من التّراث ما يزال أكثرها دفينا أو حبيسا بين رفوف المكتبات (في الجزائر وخارجها)، ولم نحاول -نحن أجيال الاستقلال، إلّا ما ندر- إخراجها في أحسن صورة تليق بها، ينتفع بها المتعطّشون للأدب والإبداع، ويتعرّف من خلالها طلّاب التّراث الجزائريّ على: مميّزاته، خصائصه، إنجازاته، أسراره، وقيمته الفنّيّة.

وإنّنا في هذه الورقة البحثيّة المتواضعة لا نهدف إلا إلى تسليط الضّوء على المغمورين أو المنسيّين من أدباء الجزائر وفطاحل شعرائها المتقدّمين؛ لعلّ الله يوفّقُ باحثينا أو يُخرج من أصلابنا من يتولّى خدمة هذا الكنز الّذي يُفتَدى بملء الأرض ذهبا وفضّة.

ونبدأ رحلتنا الشّاقّة (والممتعة) من «تلمسان» العراقةِ والأصالةِ، حاضرة الأدب والعلوم على مدار تاريخ الجزائر، والمدينة الولود المُنجِبة المُخْصِبة التي تخرّج في كتاتيبها ومدارسها ومساجدها وزواياها؛ كوكبة معدودة في نجوم الشّعر والنّثر والمقامات والأدب، غير معدودة في الإحصاء ولغة الأرقام؛ منهم أعجوبة زمانه وفريد عصره «ابنُ أبي حَجَلَة».

• نسبه، نشأته، مؤلفاته

• هو «أَحْمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحِد، شِهَاب الدّين»[3]، ولد في «تلمسان» بزاوية جدّه أبي حَجَلة[4] سنة 725هـ، وتعلّم وعلّم فيها، ثمّ سافر إلى الحجّ -مع أبويه وإخوته- ولم يرجع إليها، سكن «دمشق» مدّة، ونزل «القاهرة» واشتهر فيها جدّا، وولي مشيخة الصّوفيّة بصهريج (مدرسة) الأمير «منجَك» اليوسفيّ بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطّاعون سنة 776هـ، أي مات -رحمه الله- وعمره 51 سنة.

كان حنفيّا يميل إلى مذهب الحنابلة في المعتقد[5]، كثير المروءة والفضل والاستحضار، بارعا في عدّة علوم، وجاوزت مصنّفاته ثمانين مصنّفا[6] في الحديث والفقه والنحو والتّراجم والرّقائق والتّصوّف والأدب والشّعر والشّطرنج وغيرها. أشهرها «ديوان الصّبابة»[7]؛ ويضمّ أشهر قصص عشّاق العرب الجاهليّين والإسلاميّين، وهو من مجاميعه الجليلة، طبع طبعة حجرية قديمة لا ترقى إلى مكانته، وأكثر كتبه ما تزال مخطوطة لم تر النّور بعد، منها ديوان شعره. وأمّا كتابه (وهو مطبوع) «سُكَّرْدَان[8] السّلطان» فهو من أهمّ مصادر السّيوطي في كتابه «حسن المحاضرة».

عاصر «ابن أبي حجلة» كبار الشّعراء في العهد المملوكيّ، منهم: صفيّ الدين الحلّيّ (ت750هـ)، وابن نباتة المصريّ (ت768هـ) وغيرهما.

وكان يكثر من الحطّ على أهل «الوحدة» وخصوصا ابن الفارض (ويشنّع عليه أنّه لم يمدح النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- بشعر)، وقد امتحن بسببه على يد «السِّرَاج الهنديّ» قاضي الحنفيّة، وعارض جميع قصائد ابن الفارض بقصائد نبويّة، وأوصى أن تدفن معه.

• وفي براعته الشّعريّة والأدبيّة؛ يقول ابن تغري بردي: [وقال الشّعر الجيّد.. وله خمس دواوين (كذا في المطبوع) في مدح



صورة من مخطوطة «ديوان الصّبابة»

الرّسول ﷺ، و«سبع» أراجيز سبعة آلاف بيت، وأمّا الشّعر فله فيه اليد الطّولى، والمعاني الغريبة، والاختراعات العجيبة، مع كثرة النّظم وسرعة البديهة، وخفّة الرّوح، والتّخيّل الصّحيح][9]، وقال عنه تقيّ الدّين الغزّيّ في الطّبقات: [ومهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسّل ففاق، وعمل «المقامات»، وغيرها]، وقال في موضع آخر نقلا عن ابن حجر: [وكان بارعا في الشّعر، مع أنّه لا يحسن العروض، وعارض «المقامات» فأنكروا عليه]، وقال أيضا: [وله شعر كثير، وعنده أدب غزير، ومن أراد غير ما هنا، فعليه بمراجعة دواوينه، ومطالعة مجاميعه، فإن فيها ما يُقرّ العين، ويشرح الصّدر].

قلتُ: ومعنى قوله «لا يحسن العروض» أنّه لم يدرسه دراسة منهجيّة، وأنّه كان يكتب على السّجيّة، وفي الحقيقة هذه سمةٌ في كثير من علماء الجزائر: أنّهم كانوا يكتبون الشّعر على السّليقة دون النّظر في علم العروض، ولعلّني أفرد لهذا الباب ورقة بحثيّة خاصّة.

وأمّا إنكارهم عليه في المقامات التي حاول أن يحاكي بها «الحريريّ» فلم أجد -في ما لديّ من نصوص منها- مطعنا يؤاخذ به؛ بل إليك ما يقوله «أبو العبّاس القَلْقَشَنْدِيّ» فيه وفي مقامته «الزّعفرانيّة»: [وما قاله صاحبنا الشّيخ «شهاب الدّين بن أبي حجلة» الذي كان أغرب من زرقاء اليمامة، وأعجب إذا ركب بغلته وزرزوره من أبي دلامة، الأديب الذي كان حجّة العرب، والنّاثر الذي كان بنسبته إلى الطّيور محرّك المناطق، وإلى الشّعر صنّاجة الأدب، والنّاظم الذي كان إذا أنشد مقاطيعه في التّشبيب؛ فاق على المواصيل ذوات الطّرب، والصّديق الذي كانت منه عوائد الوفاء مألوفة، وشيخ الصّوفية الذي لا عجب إذا كانت له المقامات الموصوفة، أسكنه الله فسيح الجنان، وخصّ ذلك الوجه الجميل بالعارض الهتّان؛ من مقامته «الزعفرانية» عن «أبي الرّياش»: (فاعتنقته لدى السّلام، وقلت ما وراءك يا عصام؟! فقد بلغنا أنّ النّيل تزايد دفعه، وأدّى إلى الضّرر نفعه، فقال: خذ العفو، ولا تكدّر بذكر النّيل الصّفو؛ فقد امتزج بالمعصرات ثجّاجُه، وأعيى طبيب الغيطان علاجُه.. قلت: فما فعل النّغير؟ بجزيرة الطّير، قال: لم يبق بها هاتف يبشر بالصّباح، ولا ساع يسعى برجل ولا طائر يطير بجناح، إلا اتّخذ نفقا في الأرض أو سلّما في السّماء، أو أوى إلى جبل يعصمه من الماء...)][10].

والمقامة طويلة جدّا، غير أنّك ترى -في هذه الأسطر القليلة- انسيابيّة لفظها، وحسن سبكها، وخفّة ظلّها، وتناسق سجعها، وتناغم تراكيبها، وتأثّره بالقرآن والحديث وعلوم الشّرع، وثقافته الموسوعيّة، وتوظيف ذلك كلّه في الأدب بطريقة محببّة إلى النّفس، خالية من التّكلّف، وهو في ذلك يعالج مشكلة بيئيّة حدثت في زمانه بالفعل، وهي: فيضان النّيل بسبب غزارة المطر، وإنّي لا أرى إنكارهم عليه مقاماته إلا نوعا من حسد العلماء؛ لما فيها من تجديد يكاد يجعلها أعظم من مقامات الحريريّ.

• شذرات من شعره

• وأمّا شعره (في ما بين يديّ من نصوص) فإنّ سمته الغالبة فيه هي سمات العصر المملوكيّ وخصائصه، على رأسها الإسراف في البديع، ومنه: «التّضمين»[11]، وقد برع فيه شاعرنا وأكثرَ منه، قال ابن حجّة الحمويّ: [ومن تضامين شهاب الدّين بن أبي حجلة البديعة قوله:

وكُنّا متى يغزُ النّبيُّ قبيلَةً
تَصِلْ حافتيهِ بالقنا والقنابلِ

يَحْكِي سَنَا الفانُوسِ مِنْ بُعْدٍ لَنَا
بَرْقًا تَألَّقَ مَوْهِنًا لَمَعَانُهُ

فالنّارُ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ
والماءُ ما سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

وقال وأجاد:

يا صَاحِ قد حَضَرَ المُدامُ ومُنْيَتِي
وَحَظِيتُ بعدَ الهَجْرِ بالإِيناسِ

وكَسا العِذارُ الخَدَّ حُسْناً فاسْقِنِي
واجْعَلْ حديثَكَ كُلَّهُ في الكاسِ][12]

وحضور الخمرة وأوصافها بيّن للنّاظر؛ وليس بغريب عن الصّوفيّ أن يستعيرها للتعبير عن الأحوال والمقامات، خاصّة أنّ «ابن أبي حجَلة» كان شديد الخِلطة لشاربها (وإن لم يشربها)؛ كما ذكر الحافظ ابن حجر. وإليك هذه المقطوعة الزّاهية في هذا الموضوع؛ يقول:

أَمُعَطِّلَ الكاسَاتِ عن عُشّاقِها
يكفيكَ بالتّعطيل[13] عَيْباً عائِباً

ذَهَبَتْ كُؤوسُكَ بالمدامِ فقد أرى
للنّاسِ فيها يعشقون مَذاهِبَا

فمتى سلكْتَ مِن الهُموم مَهالِكاً
صادفتَ في فتحِ الدِّنانِ مَطالِبَا

ومتى امْتَطَيْتَ مِنَ الكُؤُوسِ كُمَيْتَهَا
أَمْسَيْتَ تَمْشي في المسرّةِ راكِبا

ومَتَى طَرَقْتَ عَشِيَّ أُنسٍ دَيْرَها
لم تلْقَ إلَّا راغِباً أو رَاهِبا

ومن غايات شعره كما يرى التّقيّ الغزّيّ وابن حجّة والشّهاب الخفاجيّ[14]؛ قوله:

قُل للهلال وغَيْمُ الأُفقِ يَسْتُرُهُ
حكيتَ طَلْعةَ مَن أهواهُ بالْبَلَجِ

لَكَ البِشارةُ فاخلعْ ما عليك فقدْ
ذُكِرْتَ ثمَّ على ما فيك من عِوَجِ

ومن مستجاد تجنيسه؛ ما نقله ابن حجر -مستحسنا له جدّا- من قوله:

تَفَرَّدَ الخالُ عنْ شَعْرٍ بوَجْنَتِهِ
فليسَ في الخَدِّ غَيْرُ الخالِ والخَفَرِ

يا حُسْنَ ذاكَ مُحَيَّا ليسَ فيهِ سِوَى
خالٍ مِنَ المِسْكِ في خالٍ مِنَ الشَّعَرِ

ومن هجائه اللّاذع في السّرقات الشّعرية؛ قوله:

إنَّ ابْنَ أَيْبَكَ لمْ تَزَلْ سَرِقَاتُهُ
تأتي بكلٍّ قبيحةٍ وقبيحِ

نَسَبَ المعاني في النَّسيمِ لنفسِهِ
جهْلًا فراحَ كلامُهُ في الرِّيحِ

وبرع أيضا في الإلغاز، فمنه قوله في كلمة «سُلطان»:

ما اسْمٌ يُحَبَّبُ للقلوبِ لأَنَّهُ
حَسَنُ الحروفِ يجودُ بالإحْسَانِ

تَصْحِيفُهُ أَمْسى حَبيبًا كلَّما
صَحَّفْتَ أحرُفَهُ بحُسنِ بيَانِ

لو جادَ لي يوْمًا بِرؤْيةِ وَجْهِهِ
نلتُ المرادَ وعِشْتُ بالسُّلْطانِ[15]

وأمّا غزله فغاية في الرّقّة والسّلاسة، منه قوله:

مَالَتْ كغُصْنٍ مع الأرواحِ ميَّاسِ
مِصْرِيَّةُ الحُلْيِ تَبْدُو لي بِمِقْياسِ

ما جنَّ لَيْلِي وَأَمْسى حُلْيُهَا قَلِقاً
إلَّا وثَارَ بها جِنِّي ووَسْواسِي

ولا بَدَا رِدْفُها الرَّاسي إذا قَعَدَتْ
إلَّا وبَاتَتْ يَدِي مِنْهُ على رَاسِي

ومنه؛ وما أحسنه!:

شكوتُ إلى الحبيبةِ سوءَ حظِّي
وما قاسَيْتُ من ألمِ البِعادِ

فقالتْ: أنتَ حظُّكَ مثلُ عيْني
فقلتُ: نعَمْ؛ ولكنْ في السَّوَادِ

وله في باب الاكتفاء ببعض الكلمة في الشّعر:

يا ربِّ إنَّ النِّيلَ زادَ زِيَادَةً
أَدَّتْ إلى هَدْمٍ وفَرْطِ تَشَتُّتِ

ما ضَرَّهُ لَوْ جَا على عاداتِهِ
في دَفْعِهِ أوْ كانَ يَدْفَعُ بالَّتِي[16]

وقال يمدح شعره؛ وأصاب:

نَظْمِي عَلاَ وأَصْبَحَتْ
ألفاظُهُ مُنَمَّقَهْ

فكلُّ بيتٍ قلتُهُ
في سَطْحِ داري طَبَقَهْ

• خلاصة

رغم قلّة ما بين أيدينا من نصوص شعريّة «لابن أبي حجلة» فإنّها كافية في تبيّن خصائص شعره، ومعرفة جودته، وأسلوبه، وقيمته الفنيّة، ولو ظهر ديوانه (المخطوط) لاكتشفنا أشياء أعمق، وأكثر سحرا وطرافة، غير أنّي أختم ورقتي المتواضعة بجملة من التّساؤلات؛ وهي:

1.هل ستعرف مصنّفاته طريقها إلى النّور؟ وهل سيحرّك

باحثونا ساكنا في خدمة تراث هذا العلَم النّحرير؟

2.هل سيحاول مسؤولونا في وزارة الثّقافة الحصول على نسخ مصوّرة (على أقلّ تقدير) من مخطوطات علماء الجزائر وأدبائها المنسيّة في رفوف المكتبات المصريّة والسّوريّة، وتوجيهها إلى النّشر؟ أم سيكتفون -إلى يوم التّنادي- بإقامة المهرجانات الغنائيّة الرّاقصة؟

3. لماذا لا تدرّس جهود المبدع الجزائريّ في المدارس والجامعات؟ ولماذا نعتمد دائما على جهود المشارقة؛ الّذين لا يدرسون جهود المغاربة إلّا لماما؟

4. لماذا مصير المبدع الجزائريّ التّهميش دائما؟ مع أنّه إذا خرج إلى المشرق أو إلى الغرب طارت شهرته وبلغت الآفاق، وتصدّر حركة ثقافيّة عظيمة خارج بلده كانت هي الأولى بها، كما حصل مع «ابن أبي حجلة» الذي لو بقي في الجزائر ربّما لم يحصل على 1% ممّا حصل عليه في دمشق والقاهرة، وأعرف غيره من الأعلام بالعشرات بل بالمئات من قديم الزّمان؛ حصل معهم ذلك (ولعلّي أفرد لهم ورقة خاصّة)، أم هي تركيبة العقليّة الجزائريّة؛ تقدّم الأجنبيّ على حساب المحليّ؟[اهـ].

---

1) العبارة للإمام مالك، انظرها في: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، الطبعة: 1409هـ - 1988م: 2/88.

2) أقول هذا الكلام لأنني رأيت كثيرا من الشباب الغرّ يزعمون أنْ ليس للجزائر أثر ثقافي أو حضاري كبير مقارنة ببلدان عربية أخرى، بل وصل بعضهم إلى حد الغلوّ: فزعم أنْ ليس لنا تاريخ عريق، ولهذا نريد أن نفنّد مثلَ هذه المقالات بمثلِ هذه المقالات.

3) انظر ترجمته مفصلة في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد-الهند، ط2: 1392هـ1972-م: 1/390-391، و إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، الطبعة: 1389هـ - 1969م: 1/96، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية وشركة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - مصر: 1/571-572، ونيل الأمل في ذيل الدول، زين الدين بن شاهين، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1: 1422هـ - 2002م: 2/91، و الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين الغزّيّ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي، دمشق - سورية، بدون سنة نشر: 2/124-128، ومُعجَمُ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط2: 1400هـ - 1980م: ص364-366، وغير هذه المصادر كثير فلتنظر.

4) قال ابن حجر: كان من الصالحين، وكني بأبي حجلة لأن حجلة أتت إليه وباضت على كمه.

5) وهو شيء نادر: حيث إن الحنفية أكثرهم على عقيدة الإمام الماتريدي (القريبة جدا من عقيدة الإمام الأشعري)، وربما تمذهبه بمذهب الحنفية لم يأت إلا بعد نزوله مصر، وإلا فإن مذهب الإمام مالك منتشر في المغرب الإسلامي من أيام الأندلس ودولة المرابطين.

6) انظر عناوينها في: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت - لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (بدون سنة نشر): 2/201، و الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1: 2002م: 1/268-269 و 4/240، و مُعجَمُ أعلام الجزائر: ص365-366.

7) انظر ما يقول فيه «ابن المقريّ» لتعرف ما أبدعه أجدادك الجزائريون: [أما بعد: فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها، الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها -وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها- «ديوان الصبابة» وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظيم ونثير، وأسدى في غزل غزله وألحم، ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم، فصدق الخبر المخبر، وطمت اللجة التي لا تعبر، وتأرج من مسراه المسك والعنبر، وقالت العشاق عند طلوع قمره: الله أكبر]، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط2: 1997م: 6/279.

8) مركبة من كلمتيْ «سُكَّر» و«دان»: وعاء السكُر، سُكَّرية، غير أنها تستعمل بمعنى وعاء عامة. انظر تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1: من 1979 - 2000م: 6/107. قلت: ولم أقف عليها في المعاجم القديمة.

9) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين بن تغري بردي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بدون سنة نشر): 2/259-260.

10) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العبّاس القَلْقَشَنْدِيّ، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق- سورية، ط1: 1987م: 14/317.

11) التضمين (وهو غير التضمين عند المتقدمين) هو أخذ لفظ بيت أو معناه أو كليهما معا والإضافة عليهما معنى جديدا أو تحويل معناه إلى معنى جديد، وإلا فهو سرقة محضة، وأما الأخذ من القرآن والسنة فهو الاقتباس. ويطلق المعاصرون على التضمين مصطلح التّناصّ.

12) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1: 1987م: 2/333. قلت: وقد وافقه التقي الغزي في جودة البيتين الأخيرين، وقد أخذهما من بيتين لابن العفيف التلمساني المشهور بالشاب الظريف. انظرهما في الخزانة: 2/97.

13) يقصد - هنا - بالتعطيل: التّعريض بمذهب المتأوّلة من المعتزلة ومن وافقهم.

14) ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا. شهاب الدين الخفاجي. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة - مصر. ط1: 1386هـ - 1967م: ص336.

15) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2: 1986م: 3/443.

16) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل بن مراد، دار البشائر الإسلامية و دار ابن حزم، ط3: 1408هـ - 1988م: 3/101-102.



كتاب قرأته

فصـــــــول في الثقافة والأدب للقاضي الأديب «علي الطنطاوي»

عمـــــر بوشنَة

كثيرا ما كان يتردّد اسم الأديب الطنطاوي رحمه الله على مسامعي وأنا أدْرَج في مرحلة الطلب، متتبعا كتب الأدب والشعر والبيان، ولكنّي لم أحظ بالاطلاع على ما كتبه إلا مؤخرا، وذلك قبل أربع سنوات تقريبا؛ حين قرأت للشيخ الأديب الدكتور عائض القرني حفظه الله مقالا نشره في جريدة الشروق اليومي التي أدمنت مطالعة ركن «أقلام الخميس» فيها. فكان لا يفوتني أبدا الاطلاع على خيرة ما يكتبه المثقفون والأدباء فيه..

وقد كان في أحد مقالاته موضوعٌ حول شخصية الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، أبدع في نسج خيوطها أديب لا يقل شأناً عنه هو الدكتور عائض القرني، فأعجبت بما كتبه فيه تحت عنو ا ن : «علي الطنطاوي الأديب السّاحر»، هذه الكلمة التي جمع فيها فأوعى، وما أظنُ أحداً أنصفَ الشيخ الطنطاوي رحمه الله أفضل مما كتبه الدكتور «عائض القرني» فيه!

ورحتُ أفتّش عن هذا الأديب الذي نعته بالسّاحر حتى وقفت على كتاب له بعنوان: «فصول في الثقافة والأدب» في نسخة الكترونية، فلم يمرّ الأسبوع حتى كنت قد أنهيته دون أن أكونَ متفرّغاً له، وبدأت في كتاب آخر له بعنوان: «فكَر ومباحث»، الذي لا يبعد عن سابقه في الموضوعات التي كان يعالجها.

غير أن النّسخ الالكترونية قد نالت مني الجهد؛ نظرا لمعاناتي مع ضعف البصر، فتوقفت عن قراءة النسخ الالكترونية، ورحت أبحث عن النسخ الورقية لكتب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، فوفّقني الله أن وجدت ثلاثة عناوين أخرى هي: «صور وخواطر»، و «مع النّاس» و«فصول اجتماعية» فأنهيتها واحداً تلو الآخر.

وفي كل كتاب أقرؤه للشيخ الطنطاوي رحمه الله ازداد إعجاباً بسَعة فكره واطّلاعه، وغزير علمه، وحسن بيانه الساحر الآسر، فهو يكتب بأسلوب أدبيّ جزل رصين، تملؤه روح الدعابة والمرَح، ويصفُ المشاهد فيصيب الوصف بأدق تعبير حتى تتخيّله ماثلا أمامك، وكأنّ المنفلوطي رحمه الله قد نفث في روعه نفثةً من نفثاته البيانية الخالدة، ولا غَرو في ذلك فالشيخ نفسُه صرّح بما للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي عليه من أيادٍ بِيض؛ إذ قرأ مؤلفاتِه كثيرا وأدمن مطالعتها وحفِظ بعضَها، فقد كانت المنهلَ الأوّل الذي أخذ بيده إلى فنّ الإنشاء.

• نبذة عن المؤلف

«**علي الطنطاوي**» هو الأديب والشاعر والفقيه والقاضي السّوري الدمشقيّ، ولد سنة 1327 هـ الموافق لـ1909م من أسرة معروفة بالعلم، كتب في العديد من المجلّات التي كانت تصدر في حياته، وألّف ما يزيد عن ثلاثين مؤلّفاً، لعلّ أضخمها ذكرياته الشخصية التي تقع في ثمانية أجزاء، ضمّنها أهم مواقف حياته والأحداث التي مرت به، وقد وافاه أجله سنة 1420 هـ الموافق لـ 1999م.

• كتابنا لهذا العدد

أمّا كتابه الذي آثرت أن أعرض له بالحديث في هذا العدد من مجلة «الخريدة» فهو بعنوان: «**فصول في الثقافة والأدب**» وهو أحد الكتب التي اعتنى بها حفيده بعد مماته وجمعها وأخرجها في ثوب قشيب، والكتاب يقع في عشرين وثلاثمائة صفحة، ضمّنه مجموعةً من الموضوعات المتعددة، منها ما يخصّ الثقافة عامة ومنها ما يخصّ الأدب والنقد وآراءه فيهما، ومنها ما يتعلّق باللغة والنحو، إضافة إلى قضايا اجتماعية وأخبار تاريخية نادرة، يسوقها بأسلوبه المشوق الطريف الذي لا يكاد يخلو منه كتاب

علي الطنطاوي

من كتبه.

ونظرا لنفاسة الكتاب وقيمته العلمية فإني سأختار منه بعض المنتخَبات التي قيّدتها، حتى تعمّ الفائدة لمن لم يتسنَّ له الاطلاع على الكتاب كلّه، كما أنني سأركّز على ما يتعلّق منها بالفوائد والنوادر الأدبية، والإشارة إلى أهم المصادر والكتب التراثية وبعض آراء الشيخ فيها عموما.

• مقتطفات

1.يقول الشيخ «علي الطنطاوي» -رحمه الله- : «كان في مكتبة العزيز بن المعز، وهو من ملوك الدولة العُبَيدية التي تدعى بالفاطمية، بضع وثلاثون نسخة من كتاب «العين». وكان في هذه المكتبة عشرون نسخة من تاريخ الطبري، منها (كما يقول المقريزي في خططه) نسخة بخط الطبري نفسه، وفيها مئة نسخة من «الجمهرة» لابن دُرَيد. وكل ذلك في عهد لم تكن عُرفت فيه المطابع ولا الطابعات».

2.مؤلفات ألفها أصحابها وهم مكفوفو البصر :

«إنّ من هذه الكتب ما لا يستطيع الواحد منا أن يقرأه قراءةً، فكيف إذا حاول أن ينسخه نسخاً؟ فكيف وكثير منها أملاه مؤلّفوه إملاء لأنهم كانوا من مكفوفي البصر؟ كالمخصَّص لابن سِيْدَه، أوسع كتاب في اللغة، أملاه إملاءً . والاستيعاب لابن عبد البَرّ، أملاه إملاءً وهو ضرير لا يقدر أن يأخذ من الكتب. و «المبسوط» أوسع كتاب في الفقه، أملاه مؤلفه وهو محبوس في الجُبّ تحت الأرض لكلمة حق قالها عند حاكم ظالم، فكان تلاميذه يقفون في الطريق يستَمْلون ويكتبون وهو يملي عليهم من بطن الجُبّ، ما عنده كتاب ينظر فيه ولا مرجع يرجع إليه، وقد بيّنَ ذلك في كتاب العبادات في آخر باب الإقرار».

3.«...وابن سينا ألّفَ رسالته عن القولنج (ونحن لا نزال إلى الآن نستعمل في الشام كلمة «القولنج» مرض معوي مؤلم)، ورسالة حَيّ بن يقظان (التي قلدها ابن طُفَيل الأندلسي، فاشتهرت قصته وماتت قصة ابن سينا) كتبهما وهو سجين. وقصة «حي بن يقظان» هي التي نسج على منوالها ومشى على أثرها مؤلف رواية روبنسون كروزو المشهورة. بل إن الكتاب العظيم لابن سينا، وهو «الشِّفاء» الذي بقي الأساس في دراسة الطب في جامعات أوربا إلى ما قبل أربعمئة سنة، ألّفه وهو هارب متنقّل في البلدان مُتوارٍ عن الأبصار».

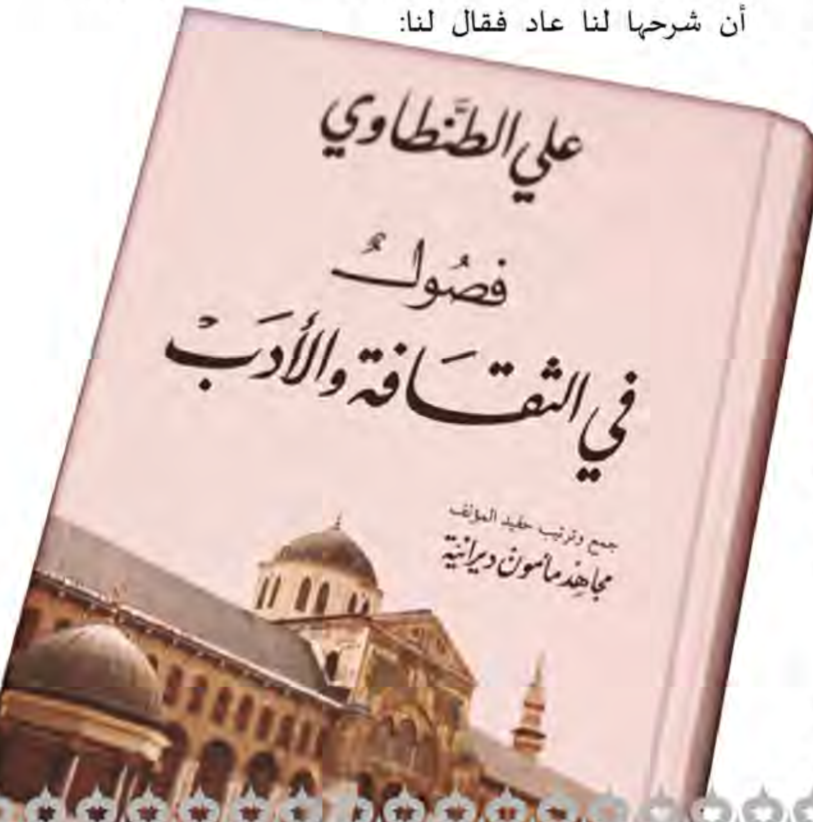
4.«والبَيْروني، المفكر العظيم الذي يقول عنه سخاو (وهو أحد المستشرقين الألمان) بأنه أكبر عقلية كانت في القرون الوسطى، يذكر في كتابه «الصَّيْدَنة» (أي الصيدلة) أنهم لم يكتفوا بدراسة الطب عامة بل كانوا يعرفون التخصص فيه».

5.«أما كتاب «الأغاني»، فإن من أراد متعة الأدب، وطلب جيد الشعر، وأراد الإحاطة بأخبار الشعراء والمغنّين، للّذة الأدبية وتقوية الملَكة البيانية، فلا يجد كتاباً أجمع لهذا كله منه. وما منّا إلا مَن كان «الأغاني» عُدّته الأولى في إقامة اللسان وتجويد البيان. ولقد قرأته كله (وهو بضعة وعشرون جزءاً) ثلاث مرات، واستفدت منه في الأدب واللغة ما لم أستفِد مثلَه من غيره.

كل هذا صحيح، أما أن يكون كتاب دين تؤخَذ منه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يفعل هؤلاء الأدباء الكبار المعروفون، أو أن يكون كتاب تاريخ يُعتمَد عليه في تحقيق الأخبار، فلا».

6.«...والأستاذ يعلم أن عندنا علماً ليس لأمة علم مثله، هو «علم الرجال»، أعني علم «الجرح والتعديل». ويعلم أن علماءه لم يدّخروا في هذا الشأن وسعاً، ويعلم أن أجمع كتاب للرجال هو «الخلاصة» للخَزْرَجي، الذي لخّص فيه كتاب «التذهيب» للحافظ الذهبي و «التقريب» لابن حجر و «الإكمال» لابن ماكولا و «الكمال» للحافظ عبد الغني المقدسي و «الجمع» لابن طاهر و «الميزان» للذهبي، وهي أعظم كتب هذا العلم».

7.«لقد كلفنا سليم الجندي -لما جاءنا أستاذاً للعربية في مكتب عنبر في الشام سنة 1923- أن نحفظ قصيدة المتنبي التي ودّع بها سيف الدولة: «وا حرَّ قلباهُ ممّن قلبُهُ شَبِمُ»، وبعد أن شرحها لنا عاد فقال لنا:



دعوها، فإن المتنبي شاعر مولَّد لا يُحتَجّ بعربيّته، وراح يختار لنا من الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام ما لا أزال إلى الآن -بعد خمس وستين سنة- أحفظ طائفة صالحة منه. وطلاب اليوم إن كُلِّفوا حفظ مئتَي بيت في العام كله عدّوا ذلك من المصائب التي لا تُحتمَل!».

8.«كانوا يختارون لنا روائع **الشعر الجاهلي** والإسلامي، فانظروا اليوم في كتب المختارات التي يضعونها بين أيدي الطلاب ليكون ما فيها قدوة لهم يتّبعون أثره ويمشون على طريقه. انظروا، ماذا ترون؟ رأيت مرة في كتاب مدرسي قصيدة لرجل يدعونه بدر شاكر السيّاب، لولا أنها مكتوبة بحروف عربية لما فهمت منها شيئاً! أفبمثل هذا الشعر تريدون أن تنشّئوا أولادكم على الفصاحة وعلى البيان وعلى فهم **إعجاز القرآن**؟!»

9.«وفي دراسة نقائض جرير والفرزدق أدبٌ كثير، وفيها -كما قال يونس- ربع اللغة، وهي أنفع شيء في إقامة اللسان وتقوية السليقة، ولكنها توحي بتحسين الأعراف الجاهلية في الحياة، تلك الأعراف التي كان إبطالها من جملة أغراض الإسلام».

10.«وفي شعر بشار وأبي نواس وأمثالهما أدبٌ كثير، ولكنَ فيه هدمَ الأخلاق ونشرَ الفساد. وفي شعر أبي العتاهية أدبٌ كثير، ولكنّ فيه قتلَ الطموح والاستسلامَ إلى اليأس. وكذلك المتنبي في تزوير التاريخ وتشويه الحقيقة، حين يرفع سيف الدولة وهو طاغية ظالم (وإن كان قائداً مظفَّراً) ويخفض كافوراً وهو من أصلح الملوك».

11.«الحق والخير والجمال هي غايات العقول، ومقاصد المعارف، ومُثُل الناس العليا: فما يوصل إلى الحق من معارف البشر فهو **العلم**، وما يريدون به الجمال فهو **الفن**، وما يصلون به إلى الخير فهو **الأخلاق**».

12.«والعلم والفن يختلفان غايةً وطريقاً ووسيلةً، فالعلم غايته الحقيقة، وطريقه المحاكمة، ووسيلته الفكر. والفن غايته الجمال، وطريقه الشعور، ووسيلته الذوق».

13.«أما الأدب على وجه التحديد والتعريف فهو «مجموع ما في لسان من الألسنة من كلام جميل» من شعر أو نثر، ومن مذكرات أو رسائل، أو عرض (ريبورتاج) أو مقالات أو قصة أو رواية.»

14.«فالأدب إنشاء وإبداع، أما **النقد** فهو وزن وتقويم: يشعر الأديب، فيعبّر عن شعوره بقطعة من الشعر أو النثر ينشئها ويبدعها، فيجيء الناقد فيضعها في كفّة ميزانه، ويضع في الكفة الأخرى الصورةَ الكاملة التي يريدها لها، ثم يبيّن ما في القطعة من الخفة أو الرُّجْحان، ومن الكمال أو النقصان».

«إن أكثر المتأدّبين لا يفرقون بين الشعر والنثر إلا بالوزن، مع أن في الموزون ما ليس بشعر، كقول ابن مالك:

ولا يَصحّ الابتدا بالنَّكِره
ما لم تُفِد، كعِنْدَ زَيد نَمِرَه

وقول معارض الدّريدية:

مَن لم يُرِد أن تنتقب نِعالُهُ
يحملها في يده إذا مَشَى

ومن أراد أن يصونَ رِجْلَهُ
فلبسُها خيرٌ له من الحَفى

وقول الآخر (وهو -إن أردت الصدق- من أصدق القول):

الليل ليلٌ، والنهارُ نهارُ
والأرضُ فيها الماء والأشجار

وفي غير الموزون ما هو الشعر محض الشعر، كالذي ترجمه الزيات نثراً من شعر لامارتين، وما نثر به زكي مبارك الكثير من شعر الشريف، وفي كثير مما كتب الرافعي».

15.«أما التعريف الأدبي للشعر فهو أنه «التعبير الجميل عن الشعور النبيل».

16.«و**النقد** نقدان: نقد القطعة من حيث لغتها وإعرابها وتأليفها ووزنها، وهذا «نقد علمي» لا يختلف فيه ناقد عن ناقد، لأن اعتماده على قواعد ثابتة وقوانين مقرَّرة، فإن اختلف فيه ناقدان رجعا إلى المعاجم الموثوق بها وإلى كتب النحو والصرف والبلاغة والعروض. ونقدها من حيث جمال أسلوبها وأثرها في نفس قارئها، وهو «نقد فنّي» اعتمادُه على الذوق، فهو لذلك قد يختلف باختلاف النقّاد.»

17.«...«**الدمَاغة**» هي بائية جرير الشهيرة التي هجا فيها بني نُمَير، هو سماها «الدمّاغة». سهر فيها ليلة كاملة يتقلب على فراشه -كما في كتب الأدب- حتى كان السّحَر، فإذا هو قد قالها ثمانين بيتاً في بني نمير، فلما ختمها بقوله:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَير
فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

كبّر ثم قال: قد والله أخزيتهم إلى آخر الدهر. وهذه القصيدة تسميها العرب «الفاضحة»؛ تركت بني نُمَير ينتسبون في البصرة

إلى عامر بن صَعْصَعة ويتجاوزون أباهم نُميراً إلى أبيه، هرباً من ذكر نمير وفراراً مما وُسِم به من الفضيحة والوصمة».

18.«...**الجاحظ** (وهو في رأيي أحد الخمسة الذين انتهت إليهم إمامة النثر العربي: الجاحظ وأبي حيان التوحيدي والغزالي وابن خلدون ومحيي الدين بن عربي)»

19.«سألني سائل عن **أسلوب الرافعي**. وأسلوبُه على أربعة أنواع:

(1) أسلوبه في كتاباته التي يتفلسف فيها ويكتب فيما يسميه «فلسفة الحب»، ككتابه «رسائل الأحزان» وكتابيه الآخرين: «أوراق الورد» و «السحاب الأحمر»، وهو أسلوب معقَّد مصطنَع ثقيل، وإن كان مملوءاً بالتَّشابيه النادرة، والاستعارات العجيبة، والصناعة البيانية.

(2) أسلوبه في تآليفه العلمية، ككتابه «تاريخ آداب العرب»، ومنه الجزء الخاص بإعجاز القرآن، وهو أسلوب جَزْل متين صحيح يشبه أسلوب الجُرْجَاني في «دلائل الإعجاز».

(3) أسلوبه في مقالات «الرسالة» التي جمعها في كتاب «وحي القلم»، وهو أسلوب ممتاز، فيه بيان وبلاغة وفيه -غالباً- وضوح. وخيره ما كان على صورة قصة، كقصة «أمراء للبيع» و «قصة زواج».

(4) أسلوبه في النقد، وهو مملوء بالسخرية والتعالي والهَمْز واللَّمْز، وإن كان نقده لطه حسين -في كتاب «تحت راية القرآن» - نقداً نظيفاً، أما نقده للعقّاد في كتاب «على السَّفّود» فهو هجاء بَذيء، لذلك لم يطبع اسمَه عليه.

أما الذي يُنتقَد عليه فهو اعتداده الشديد بنفسه وتعاليه على خصومه، وتعقيد عباراته وبذاءة ألفاظه أحياناً. لكنه في كتاباته كلها (إلاّ ما يسميه فلسفة الحب) يدافع عن الإسلام والعروبة ويقف لأعدائها بالمرصاد، وقد بقي أربعين سنة أو أكثر وهو الممثّل الأول للأدب الإسلامي والمدافع عنه. رحمه الله.».

20.« أمّا تصنيفات العلوم فهي كثيرة متعددة بتعدّد الأسس التي يمكن بناؤها عليها، فمن العلماء مَن صنّفها تبعاً لحكمها في الشرع كالغزالي تارة، وتبعاً لغير ذلك تارات أخرى. ومنهم من صنّفها باعتبار أصلها كابن خلدون والحفيد، ومنهم من صنّفها بحسب طبيعة موضوعها كطاشْكُبْري زاده، ومن صنّفها بغايتها كأرسطو، أو بالمَلَكة البشرية المتعلقة بها مثل بيكون ودروكايم، أو بموضوعها مثل مُلاّ كاتب جَلَبي (هو المعروف باسم «حاجي خليفة»، وكتابه الذي صنّف فيه العلوم وعرّف بكتبها تعريفاً بِبْليوغْرافياً هو «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»...) وأوغست كونت».

21.« وفي الأدب العربي أدب للصيد قائم برأسه يُسمّى «الطَّرَدِيّات»، نبغ فيه جماعة منهم أبو نُوَاس، وأبو فراس، وكُشاجِم، والحِلّي، وغيرهم.».

- خلاصة

بهذا أكون قد أنهيت ما وقع عليه الاختيار من كتاب: فصول في الثقافة والأدب للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، راجيا من الله أن تكون فيه الإفادة لقارئه، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، على أمل أن ألتقيكم مع كتاب آخر إن شاء الله.[اهـ].

---

1) علي الطنطاوي.فصول في الثقافة والأدب.دار المنارة.جدة.ط1 .2007م. ص90.

2) علي الطنطاوي.المرجع نفسه.ص94.

3) المرجع نفسه.ص95.

4) المرجع نفسه.ص100.

5) المرجع نفسه.ص102.

6) المرجع نفسه.ص104.

7) المرجع نفسه.ص174.

8) المرجع نفسه.ص175.

9) المرجع نفسه.ص192.

10) المرجع نفسه.ص192.

11) المرجع نفسه.ص 193.

12) المرجع نفسه.ص193.

13) المرجع نفسه.ص194.

14) المرجع نفسه.ص195.

15) المرجع نفسه.ص196.

16) المرجع نفسه.ص198.

17) المرجع نفسه.ص220-219.(الحاشية).

18) المرجع نفسه.ص 229.

19) المرجع نفسه.ص246.

20) المرجع نفسه.ص287.

21) المرجع نفسه.ص292.


مجلّة الخريدة
من التكديس
إلى البناء
مجلّة
الخريدة
«   »: مجلّـــــةُ إلكترونيــــــةُ
تصدرُ كلّ شهرين تُعنى بالأدبِ، والفكرِ، والثقافةِ
صفحتنا على الفيس بووك: majala.kharida
البريد الإلكتروني: majalat.alkharida@gmail.com